

البحر الأحمر في التاريخ الحديث

أ. مشارك-قسم التاريخ - جامعة البحر الأحمر

د.أحمد محمد أحمد مركز

أستاذ التاريخ الحديث - قسم التاريخ - كلية الآداب -
جامعة النيلين

أ.د.ميمونة مرغني حمزة النصري

المستخلص:

هدفت الدراسة للتعرف علي مدى أهمية البحر الأحمر في التاريخ الحديث كساحة صراع بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية، وكيف أن هذه الأهمية تضاعفت بعد افتتاح قناة السويس للملاحة. أيضاً هدفت الدراسة إلى استعراض الوسائل غير القانونية التي انتهجتها الدول الغربية من أجل النفوذ والسيطرة وكسب المعارك السياسية والدبلوماسية والعسكرية. اتبعت الدراسة منهج البحث التاريخي- الوثائقي في تحليل الوثائق وغيرها من المصادر والمراجع. أيضاً استخدمت الدراسة أسلوب المقارنة لمقارنة الأحداث مع بعضها البعض بهدف الأقتراب من الحقيقة التاريخية. وتوصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

برزت أهمية البحر الأحمر نتيجة لمجموعة من العوامل المتداخلة بالإضافة إلى مجموعة من الحقائق القديمة والمتغيرات الحديثة، اجتهدت الدولة العثمانية للحفاظ علي البحر الأحمر بعيداً عن أيدي الأوروبيين، تضاعفت أهمية البحر الأحمر بعد افتتاح قناة السويس للملاحة الأمر الذي جعل الدول الأوروبية تتنافس حوله من أجل النفوذ والسيطرة متبعة جميع الوسائل، مع اعلان الحرب العالمية الأولى تحول البحر الأحمر إلى ميدان صراع مفتوح بين العثمانيين والبريطانيين.

Abstract:

The study aimed to know the extent of the importance of Red Sea in the modern history as an area of conflict between Ottoman empire and European countries and how this importance increased after opening Suez canal for shipping. The study is also aimed to present illegal methods which European countries followed to dominate and control political, military and diplomatic conflicts. The study used historical documentary method in analyzing documents as well as references. It used comparative method to compare events with each other with the aim of obtaining historical facts. The study findings are: The importance of Red Sea emerged due

to some factors, in addition, some ancient facts and modern changes. Ottoman empire exerted effort to keep Red Sea out reach of Europeans. The importance of Red Sea increased to an open conflict field between Ottomans and British.

مقدمة:

البحر الأحمر له مدلول خاص على مدى التاريخ ابتداءً من العصور القديمة مروراً بالحقب المختلفة إلى الآن.

تأتي أهمية البحر الأحمر من خلال موقعه الممتاز مقارنة مع البحار الأخرى، علاوة على ما يحتويه من ثروات جعلت الدول المصلحة عليه تسعى بكل جهد لاحتكار مزاياه الإيجابية ومردودها الاقتصادي.

كان البحر الأحمر مهذاً للتجارة المحلية والعالمية منذ أيام الفراعنة، حتى الكشوف البرتغالية التي أدت إلى تحويل التجارة العالمية من البحر الأحمر إلى جنوب إفريقيا الأمر الذي كان له نتائج سيئة على الشعوب المصلحة عليه. في العصر الحديث برزت بريطانيا عندما احتلت عدن في 1839م واتخذتها قاعدة قبل أن تظهر دول أوروبية أخرى كمنافس أو متحالف مع بريطانيا بغرض الاستحواذ والاستعمار على حساب السيادة العثمانية.

مثلت قناة السويس التي افتتحت في العام 1869م نقطة تحول في تاريخ البحر الأحمر الذي تحول إلى شريان رئيس للتجارة الدولية، وأصبح يمثل حلقة وصل بين المحيط الهندي، والبحر الأبيض مما يجعله طريقاً بحرياً للأساطيل والقوات العسكرية، وتحول البحر الأحمر إلى بؤرة صراع كبير بين الدولة العثمانية ومختلف الدول الأجنبية، وبالتالي وقعت العديد من البلدان على جانبي البحر الأحمر فريسة للمطامع الاستعمارية.

برزت الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر بشكل واضح في الحرب العالمية الأولى 1914-1918م، عندما أصبح البحر الأحمر شرياناً للأساطيل العسكرية، كما لعب دوراً في نقل الإمدادات الغذائية، والمؤن لقوات الحلفاء. أيضاً كان لشعوب البحر الأحمر دور مهم في الحرب العالمية عندما وضعت كل إمكاناتها البشرية، والعسكرية، والاقتصادية في خدمة الحلفاء الأمر الذي كان له أثر واضح في النتيجة النهائية لهذه الحرب وهو انتصار الحلفاء.

أهمية البحر الأحمر في التاريخ الحديث:

أ. مرت على البحر الأحمر فترات مختلفة من حيث الأهمية، ففي عصور فجر التاريخ كان عبارة عن بحر لا تتعدى وظيفته خدمة تجارة المناطق الواقعة على سواحه لكن أخذت تزداد حركة الملاحة على أيدي الفراعنة ثم الإغريق والعرب والرومان والأحباش⁽¹⁾.

بعد غزو التتار للعالم العربي في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي بدأت أحوال البحر الأحمر تتجه نحو الأفضل لأنهم قضوا على الطريق البري الذي يمر عبر العراق، الأمر الذي جعل البحر الأحمر يزدهر بازدهار التجارة عبر مياهه، لكن تراجعت أهميته مجدداً باكتشاف رأس الرجاء الصالح عام 1498م وأصبح البحر الأحمر مجرد بحر داخلي قليل الأهمية ونتج عن ذلك أن فقدت شعوبه الكثير من المكاسب التي كانت تجنيها في السابق، وإن ظلت التجارة المحلية بين سواحله مستمرة رغم غارات البرتغاليين من حين لآخر⁽²⁾.

في العصر الحديث دخلت الكثير من البلدان الأوروبية في حلبة الصراع للسيطرة على البحر الأحمر، وبرزت بريطانيا كدولة قوية بحكم ما تمتلكه من قوة عسكرية وأسطول بحري كبير، لذلك عملت إلى جانب فرنسا على إعادة إحياء طريق التجارة عبر البحر الأحمر، ففي عام 1798م احتلت فرنسا مصر، وبمجرد معرفة أحوالها أدرك نابليون⁽³⁾ أهمية برزخ السويس، لذلك قام بتكليف مجموعة من المهندسين للبحث عن إمكانية ربط البحر الأحمر بالبحر المتوسط وخلصت جهودهم إلى فكرة مشروع حفر قناة السويس، لكن ظل المشروع مجرد فكرة حتى عهد الخديوي سعيد باشا⁽⁴⁾ الذي سمح بتنفيذ المشروع، وبالفعل تم حفر القناة وفتحت للملاحة العالمية في 17 نوفمبر 1869م، مثلت قناة السويس علامة فارقة في تاريخ البحر الأحمر الذي اكتسب موقعاً بارزاً في خطط واستراتيجيات الدول⁽⁵⁾، وأصبح الشريان الرئيس للتجارة الدولية، والأساطيل الحربية، وظهرت أهميته بموانئه الشمالية والجنوبية، والأراضي المطلة على سواحله الشرقية والغربية، وأصبح ملتقى للأطماع الدولية العالمية⁽⁶⁾.

ب. استراتيجياً: تأتي الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر من خلال موقعه والأخذ بعامل سرعة النقل والمواصلات بين آسيا وأوروبا، علاوة على ما يحتويه من ثروات طبيعية كبيرة ومتنوعة ومتجددة كالثروة السمكية. أما الموارد غير المتجددة فتشمل: البترول، والغاز الطبيعي وهما المصدران الحيويان للإنسان والاقتصاد، أيضاً يحتوي البحر الأحمر على كثير من المعادن المهمة مثل: عقد المنجنيز، وغيره من المعادن الثمينة⁽⁷⁾.

يمثل البحر الأحمر كذلك معبراً للمواد الخام من المستعمرات بالشرق إلى المصانع بالغرب الأوروبي، الأمر الذي جعل منه هدفاً للدول الاستعمارية المختلفة.

ج. يتميز البحر الأحمر بموقعه على خط التماس مع عدة مناطق مهمة كمنطقة الخليج العربي⁽⁸⁾ والقرن الأفريقي⁽⁹⁾، كما أن هناك ارتباطاً وثيقاً بينه وبين الخليج العربي من خلال بحر العرب وخليج عدن كمنطقة استراتيجية تتحكم في مداخل ومخارج الخليج العربي والبحر الأحمر عن طريق بوابتيها «مضيق هرمز وباب المندب»، ومما يضاعف من الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر وجود قناة السويس في شماله وباب

المنذب والقرن الإفريقي في جنوبه، وهذان المدخلان يتحكمان في السيطرة والتحكم على الملاحة بالبحر الأحمر، وهناك ارتباط كامل بين هذين المدخلين، فكل منهما له مميزاته الحاكمة وخصائصه المحدودة حتى أصبحا معاً محط صراعات معقدة بين القوى الدولية والاستعمارية المتنافسة⁽¹⁰⁾.

د. يمثل البحر الأحمر حلقة وصل بين المحيط الهندي والبحر المتوسط الأمر الذي يجعل منه طريقاً بحرياً مهماً للأساطيل التجارية والقوات العسكرية بين مراكز تجمعها الأصلية في الشمال ومناطق انتشارها في أجزاء مختلفة من العالم⁽¹¹⁾.

نخلص إلى أن أهمية البحر الأحمر جاءت نتيجة لمجموعة من العوامل المتداخلة بالإضافة إلى مجموعة من الحقائق القديمة والمتغيرات الحديثة الأمر الذي جعل من البحر الأحمر بؤرة تنافس بين مختلف القوى من أجل السيطرة والاستحواذ عليه، كما أن البحر الأحمر يمثل مفتاح السيطرة والتحكم في حركة الملاحة البحرية والتجارب العسكرية، ومن خلاله يمكن فرض السيطرة على نقاط الاتصال بين مختلف الدول العربية، والإفريقية، والآسيوية التي تشاطئ البحر الأحمر.

النفوذ الأجنبي على البحر الأحمر وسواحله في العصر الحديث: ١ / التسابق الأوروبي للسيطرة على جنوب البحر الأحمر: أولاً: الدولة العثمانية:

كانت الدولة العثمانية أول دولة تسيطر على المناطق المطلة على البحر الأحمر في بدايات القرن السادس عشر الميلادي بعد اكتشاف البرتغاليين لطريق رأس الرجاء الصالح وتحويل النشاط التجاري إلى ذلك الطريق، قبل أن يتجهوا لفرض الحصار على القوى التجارية العربية ومحاولة القضاء عليها، قامت البرتغال باحتلال قواعد مهمة عند مدخل البحر الأحمر والخليج العربي بغرض إغلاق المنافذ الجنوبية لتجارة الشرق ومنعها من الوصول إلى مصر والشام، ونتيجة لذلك خرج المشرق العربي من تيار التجارة العالمية، وفقدت دولة المماليك مقومات وعوائد ضخمة كانت ترد إلى خزينتها⁽¹²⁾، لذلك حاولت دولة المماليك التصدي للخطر البرتغالي وخاضت ضدهم معركة ديو البحرية عام 1509م إلا أن أسطولها تعرض للهزيمة، وبالتالي أصبحت مسؤولية حماية البحر الأحمر وسواحله⁽¹³⁾ تقع على عاتق العثمانيين الذين بذلوا جهداً كبيراً للحفاظ عليه كبحيرة إسلامية، ومن هنا تبدأ جذور السياسة العثمانية في منطقة البحر الأحمر، وهي سياسة كانت تخدم مصالح القوى الإسلامية بالمنطقة⁽¹⁴⁾، وتعمل في نفس الوقت على التصدي للخطر البرتغالي، ومنعه من التقدم إلى داخل البحر الأحمر⁽¹⁵⁾.

استمرت الحملات البرتغالية بشدة على سواحل البحر خلال الأعوام 1520-1523م، قبل أن يتحالفوا مع الأحباش بهدف شل النشاط التجاري الإسلامي عن طريق تطويق العالم الإسلامي من ناحية الجنوب⁽¹⁶⁾.
اعتباراً من العام 1538م بدأ يتضاعف الاهتمام العثماني بالبحر الأحمر وأول خطواتهم العملية في هذا الاتجاه محاولة إخضاع اليمن بحكم موقعها المهم لتصبح خط دفاع متقدم وقاعدة في صراعهم ضد البرتغاليين⁽¹⁷⁾، وبالفعل أرسلت الدولة العثمانية حملة بقيادة سليمان باشا الخادم⁽¹⁸⁾، في سنة 1538م وتمكن بعد عدة حملات من الوصول إلى عدن⁽¹⁹⁾، والاستيلاء على الميناء وتحصينه بشكل مشابه لميناء جدة⁽²⁰⁾، الذي حصنه سليمان باشا في وقت سابق وجعل منه مركز قيادة عسكرية للدفاع عن البحر الأحمر. لاحقاً قرر العثمانيون إغلاق ميناء عدن في وجه السفن الأجنبية بحجة أنه يطل على الأماكن المقدسة⁽²¹⁾.

استمرت المجهودات العثمانية للدفاع عن البحر الأحمر من خلال إنشاء ولاية جديدة أطلقوا عليها اسم ولاية «الجيش» وقاعدتها مدينة سواكن²²، 1550-1555م وربطت بثغر جدة الإسلامي بإدارة واحدة وقّع على عاتقها تسيير ومتابعة الدوريات البحرية في البحر الأحمر بين الشاطئ العربي والشاطئ الإفريقي بغرض إحكام السيطرة عليه وإغلاقه في وجه البرتغاليين²³، علماً بأن العثمانيين بسطوا سيادتهم على الحجاز في العام 1517م، وجعلوا من مدينة جدة قاعدة لحكمهم ومقرّاً للوالي العثماني بالحجاز²⁴، حيث كان يخضع لسلطته شريف مكة الذي رحب بالحكم العثماني بعد فتح مصر مباشرة حينما أرسل ابنه «أبي نمي» حاملاً مفاتيح الكعبة إلى السلطان سليم الأول⁽²⁵⁾، كرمز للتبعية والتسليم⁽²⁶⁾.

استطاعت الدولة العثمانية إبعاد الخطر البرتغالي عن منطقة البحر الأحمر، قبل أن تجد نفسها محاصرة بالكثير من الصعوبات في توطيد حكمها باليمن حيث مثلت طبيعة المنطقة الجغرافية الصعبة ومجتمعاتها المعقدة عقبات أمام السيطرة العثمانية التي كانت غير مستقره تماماً. امتدت المرحلة الأولى من الحكم العثماني لليمن في الفترة من 1538-1635م بعدها انسحبت الدولة العثمانية من اليمن، لتبدأ المرحلة الثانية من علاقة العثمانيين باليمن ومثل العثمانيين خلال هذه المرحلة جنود أرسلهم والي مصر محمد علي باشا²⁷، في العشرينيات من القرن التاسع عشر الميلادي بتكليف من الباب العالي للقضاء على أتباع محمد بن عبد الوهاب²⁸، الذين هددوا أمن الدولة العثمانية في الجزيرة العربية، وظلت القوات المصرية ترابط باليمن حتى خروجها بسبب القرارات الدولية في بداية العقد الخامس من القرن التاسع عشر الميلادي.

ثانياً: بريطانيا:

بعد أن سيطرت بريطانيا على الهند اتجهت نحو الخليج العربي والبحر الأحمر في محاولة منها لتأمين نفوذها على الهند. في الوقت الذي اتجهت فيه فرنسا إلى مصر في إطار تنافسها مع بريطانيا على طرق التجارة والمواصلات، ونجحت في احتلالها لفترة قصيرة امتدت من 1798-1801م⁽²⁹⁾، عملت فرنسا خلالها على تنظيم ميناء السويس بشكل جعل أنظار الدول الأوروبية تنظر للبحر الأحمر بوصفه طريقاً للوصول إلى الشرق الأقصى الغني بالثروات الطبيعية الضخمة. من ناحية أخرى قامت شركة الهند الإنجليزية بنشاط كبير من أجل إغلاق الطريق إلى الهند في وجه فرنسا، وفي خطوة تالية أرسلت حكومة الهند الإنجليزية قوة بحرية إلى ميناء القصير⁽³⁰⁾، لطرد الفرنسيين من مصر، وبالفعل هزمهم في موقعة أبي قير البحرية في عام 1801م بفضل معاهدة التحالف التي عقدها مع الدولة العثمانية⁽³¹⁾، في يناير 1799م، ثم المحاولة الفاشلة لاحتلال مصر في 1807م بواسطة حملة فريزر، أيضاً عقدت بريطانيا اتفاقية مع سلطان «لحج» في 1802م وبموجبها فتح ميناء عدن أمام السفن التجارية البريطانية، كذلك توصلت بريطانيا إلى اتفاق مع أمام صنعاء في 1821م سمح للوكيل البريطاني في ميناء «مُخا» أن يقوم بدور المندوب السامي البريطاني⁽³²⁾.

أيضاً كان على بريطانيا أن تتصارع مع الدولة العثمانية بالإضافة إلى مصر التي كانت تقع في مركز متوسط يجعلها تتحكم في طرق المواصلات العالمية بين الشرق والغرب، كما أن النظام الاقتصادي الذي أنشأه محمد علي كان يتعارض مع المصالح الاقتصادية البريطانية وهي مصالح تقوم على أساس حرية التجارة والمساومة بهدف الحصول على أكبر ربح ممكن من الوطنيين⁽³³⁾.

بريطانيا كانت تخشى من امتداد النفوذ المصري خاصة بعد أن امتد إلى الجزيرة العربية، وبالتالي أصبح قريباً من الوصول إلى الخليج العربي الأمر الذي يعني الوصول إلى مياه الهند، يضاف إلى ذلك أن بريطانيا كانت تراقب بحذر نمو قوة عربية إسلامية أخرى في كل من شرق إفريقيا «زنجبار» ومسقط وهذه القوة بقيادة السلطان سعيد⁽³⁴⁾ الذي سيطر على الجزء الجنوبي من البحر العربي بالإضافة إلى شرق إفريقيا وهي أمور في مجملها يمكن أن تهدد المصالح البريطانية في الهند، وحتى تنفاد بريطانيا ذلك عملت على إنشاء قاعدة متوسطة لها في المنطقة تمكنها من فرض كلمتها على كل من مصر وسلطنة مسقط وتتحكم منها في اليمن، وكانت أصلح نقطة لذلك هي عدن

التي احتلتها بريطانيا في العام 1839م، وتتمتع عدن بأهمية استراتيجية كبيرة بالنسبة للبريطانيين كمحطة في طريق مواصلاتهم إلى الهند، فضلاً عن قربها من باب المنذب الذي يشكل المدخل الجنوبي للبحر الأحمر⁽³⁵⁾.

بعد أن احتلت بريطانيا عدن اتخذتها قاعدة للتوسع والانطلاق لبسط نفوذها في جنوب الجزيرة العربية وحوض البحر الأحمر⁽³⁶⁾.

بدأ التفوق البريطاني واضحاً لدرجة جعلته منافساً للنفوذ العثماني وبدأت تختفي السفن العثمانية في منطقة الخليج العربي الأمر الذي جعل الدولة العثمانية تخشى على نفوذها في الجزيرة العربية التي تحتضن المقدسات الإسلامية وهي تعني الكثير للعثمانيين⁽³⁷⁾.

لم تدخر بريطانيا جهداً في سبيل السيطرة على المنطقة فقد اتبعت وسائل مختلفة اتسم معظمها بالمرونة إلا أنها لم تنس سياستها المعروفة «فرّق تسد» وذلك لإلهاء القبائل ببعضها البعض حتى لا تتوحد فتشكل عقبة في سبيل سيطرتها على المنطقة التي أصبحت بريطانيا صاحبة السيادة عليها وبالتالي لم تعد قلقة على مصالحها في عدن والمدخل الجنوبي للبحر الأحمر⁽³⁸⁾.

أما الجزء الشمالي من البحر الأحمر فقد شهد مستجدات تتناقض مع المخططات البريطانية وهي تولي محمد علي باشا لمقاليده الأمور في مصر عام 1805م، وعمل على بناء دولة حديثة تتصدى للأطماع الاستعمارية الأوروبية، وأراد لمصر أن تصبح قلباً لكتلة عربية تشمل مصر والجزيرة والسودان وبلاد الشام والعراق، وسنحت له الفرصة لتكوين الكتلة التي يحلم بها عندما استنجد به السلطان العثماني سليم الثالث⁽³⁹⁾، عام 1807م لإخماد الحركة الوهابية⁽⁴⁰⁾، والقضاء على الدولة السعودية الأولى التي هدّدت الدولة العثمانية، وجد محمد علي في هذه الدعوة فرصة ممتازة لبناء القوة البحرية والحربية التي يتطلع إليها قبل أن يشرع في إرسال الحملات الحربية المتتالية إلى شبه الجزيرة العربية في الفترة بين 1811-1818م ونجحت هذه الحملات المتلاحقة في القضاء على الدولة السعودية الأولى⁽⁴¹⁾.

على الرغم من أن الحرب الوهابية كلفت مصر الكثير من الأموال والجنود، لكنها كانت وسيلة لتوطيد مركز محمد علي باشا ورفع شأن مصر بين الدول، وبداية لتفكير محمد علي في الانفصال عن الدولة العثمانية والاستقلال بمصر، وأخذ يعمل على تحقيق هذا الهدف عن طريق الحرب والفتح، لذلك تطلع إلى السودان التي كانت تربطه بمصر الكثير من الروابط الاجتماعية والاقتصادية والاستراتيجية، وبدأ في مشروع ضم السودان خلال الفترة من 1820-1823م، وفي خطوة لاحقة اهتم محمد علي بالموانئ السودانية

والصومالية بصورة أدت إلى انتعاشها بشكل واضح⁽⁴²⁾. نظرت بريطانيا إلى هذه التطورات بكثير من القلق لأنها تتناقض مع المصالح البريطانية، لذلك اجتهدت لإخراج مصر من تلك المناطق ووجدت الفرصة سانحة عندما ساءت العلاقات بين محمد علي والسلطان العثماني ووصلت إلى الصدام المباشر، تدخلت بريطانيا إلى جانب السلطان العثماني بحجة المحافظة على وحدة أملاك الدولة العثمانية، بالإضافة لتحجيم قوة محمد علي تمهيداً للقضاء عليه⁽⁴³⁾.

انتهى الصراع مع السلطان العثماني بهزيمة محمد علي عندما فرضت عليه الدول الأوروبية معاهدة لندن سنة 1840م، ثم بروتوكول لندن 1841م، وبموجب هذه العقوبات عادت مصر إلى حجمها السابق أي قبل ظهور محمد علي، وأصبحت تحكم وراثياً بوساطة محمد علي وأسرته من بعده تحت السيادة العثمانية. ونتيجة لمعاهدة وبروتوكول لندن أصدر السلطان العثماني فرمانات المنفذة لشروط المعاهدة من خلال ترتيب الوراثة وتحديد المال «الميري» السنوي الذي تدفعه مصر للباب العالي، بالإضافة إلى تحديد قوة الجيش المصري بثمانية عشر ألف جندي فقط، وصدرت هذه فرمانات في 13 فبراير وأول يونيو 1841م بموافقة وضمن الدول الأوروبية⁽⁴⁴⁾. نلاحظ بأن معاهدة لندن قد فرضت على مصر الوصاية الدولية بعد أن تم تجريدها من كل ممتلكاتها وعادت مصر إلى مجرد ولاية عثمانية، لكن مع ذلك كانت سلطة الباب العالي عليها ضعيفة بسبب تدخل الدول الأوروبية التي كانت تضمن معاهدة لندن.

بعد أن توطدت أقدام البريطانيين في عدن اتجهوا إلى السيطرة على الجزر المتناثرة في المنطقة التي تحيط بـعدن في البحر الأحمر، أيضاً احتل البريطانيون جزيرة بريم⁽⁴⁵⁾ في 1857م التي تقسم باب المندب إلى قسمين ومن يسيطر عليها يصبح في مقدوره أن يتحكم تماماً في الدخول والخروج في باب المندب، ولعلّ الهدف البريطاني من احتلال هذه الجزيرة هو قطع الطريق أمام الفرنسيين حتى لا يمدوا سيطرتهم على المنطقة الجنوبية من البحر الأحمر، بالإضافة إلى تأمين الخطوط البحرية البريطانية التي تمر بموازية الساحل الغربي جنوب باب المندب⁽⁴⁶⁾.

تمثل جزيرة بريم للبريطانيين أهمية كبرى بحكم موقعها الاستراتيجي وقربها من القاعدة البريطانية في عدن، وبالتالي فهي تتيح للبريطانيين فرصة التحكم في البحر الأحمر والموانئ الإفريقية المقابلة لعدن.

مثلت المنافسة البريطانية تهديداً كبيراً للمصالح الفرنسية في تلك الجهات، خاصة بعد أن نجحت بريطانيا في الاستيلاء على عدن وحولتها إلى

مدينة حصينة، وقامت حكومة بمباي بإرسال الكابتن وليام كورنواليس هاريس William Cornwallis Harris مزوداً بكافة الصلاحيات لعقد اتفاقية صداقة وتجارة باسم الملكة فيكتوريا مع سهلا سلاسي ملك شوا والجالا، وتم توقيع هذه الاتفاقية بتاريخ 6 نوفمبر 1841م⁽⁴⁷⁾.

ثالثاً: فرنسا:

تخوفت فرنسا من ازدياد النشاط البريطاني في المحيط الهندي وخليج عدن وعند مداخل البحر الأحمر الجنوبية، لذلك بدأت بدراسة الموقف لتقدير مدى الخطر البريطاني، وقامت بعدة حملات استكشافية بغرض التعرف على سواحل البحر الأحمر، وتوصلت هذه البعثات إلى ضرورة عدم السماح للدول الأخرى في أن تسبق فرنسا في احتلالها لتلك المناطق، وبعد محاولات كومب Combes وتاميزيه Tamiser سنة 1835-1837م، قامت حملات فرية Ferret وجالينية Gal linier وروجيه Roger سنة 1839-1840م بالإبلاغ عن سرعة نجاح الإنجليز في تلك البلاد، وكانت هذه البعثات مقدمة لإرسال البعثة الرسمية الفرنسية برئاسة الكابتن دي فوسيه Desfosses سنة 1846م. علماً أن هذه البعثات لم تصادف النجاح في بداية أمرها⁽⁴⁸⁾.

في عام 1846م وصل فوسيه Des Fosses المنطقة وقصد بلاد الدناكل بمصوع ورأى أنها مناسبة لإقامة مستعمرة فرنسية، ودعا حكومته للإسراع في مطالبة محمد علي باشا الذي تربطه علاقات جيدة مع فرنسا بالتنازل عن مصوع، ويعتقد فوسيه بعدم ممانعة محمد علي عن التنازل عنها لفرنسا لكن كان فوسيه مخطئاً لأن محمد علي باشا في تلك الآونة كان يسعى للحصول على فرمان الوراثة في حكم مصر والمناطق التابعة لها⁽⁴⁹⁾.

لم ترتح بريطانيا للنشاط الفرنسي على سواحل البحر الأحمر لذلك طلبت شركة الهند الشرقية من هنيز⁽⁵⁰⁾ المقيم البريطاني في عدن أن يرسل ضابطاً بريطانياً إلى زيلع لإحباط محاولات الفرنسيين⁽⁵¹⁾، ولعل القلق البريطاني يعود إلى الخوف من مقدرة الفرنسيين في إقناع بعض هؤلاء الرؤساء والزعماء في التحالف معها ضد بريطانيا خاصة وأن بعضهم سعى فعلاً لكسب ود الفرنسيين⁽⁵²⁾، ولما كان المبدأ السائد هناك هو البيع لمن يدفع أكثر كان على فرنسا أن تسخر شيوخ ورؤساء المناطق في تنفيذ سياستها بمعنى أن تشتري الرؤساء وهم بدورهم يسخرون الأهالي لخدمة المصالح الفرنسية وهو ما يسميه الفرنسيون بالدعامة الخلفية أو الأدبية، وكان من السهل على فرنسا أن تشتري ولأه أمثال النجاشي وأبوبكر إبراهيم في تاجورة خاصة وأن بريطانيا كانت تناصبهم العداء الأمر الذي دفعهما للارتقاء في أحضان فرنسا.

من ناحية أخرى استمرت البعثات الاستكشافية الفرنسية في ارتياد المنطقة ومن أهم تلك البعثات في هذه الفترة، بعثة راسل Rassel في عام 1859م التي كان هدفها استكشاف سواحل البحر الأحمر الغربية وفي 28 ديسمبر 1859م أرسل تقريره إلى وزارة الجائر والمستعمرات، ذكر فيه أن خليج عادولي يمثل مرفئاً ممتازاً وصالحاً للسفن الكبيرة، أما جزيرة ديسك القريبة من الساحل فتصلح لأن تكون مركزاً عسكرياً على درجة كبيرة من الأهمية لذلك أوصى حكومته بالاستيلاء على هذين الموقعين⁽⁵³⁾.

بالنسبة لبريطانيا تابعت بحذر التحركات الفرنسية التي يمكن أن تهدد مصالحها بشكل أو آخر، لذلك عملت على قطع خط الرجعة على فرنسا ومنعها من الاستيلاء على جزيرة ديسك ليس بشكل مباشر إنما عن طريق لفت نظر الباب العالي إلى نشاط الفرنسيين في البحر الأحمر، وأشارت عليه بضرورة تأكيد حقوقه على زيلع ومصوع، وبالفعل أرسل الباب العالي ضابطاً تركياً لاحتلال عادولي وجزيرة ديسك⁽⁵⁴⁾.

الملاحظ أن بريطانيا عندما لجأت إلى هذه الخطوة لم تكن تعترف فعلياً بحقوق الباب العالي في المنطقة لأنها هي نفسها سبق وأن انتهكت حقوقه في المناطق التي احتلتها دون إذن، ومع ذلك لجأت للباب العالي للحيلولة دون أن تضع فرنسا يدها على المنطقة، وفي هذه الحالة يصبح الباب العالي في خدمة الاستراتيجية البريطانية وحماية مصالحها في المنطقة وهو الأمر الذي نجحت فيه بريطانيا آنذاك.

رابعاً: إيطاليا:

دخلت إيطاليا كطرف ثالث وحاولت هي الأخرى أن تجد لها موطئ قدم في المنطقة. بدأت إيطاليا علاقاتها بسواحل البحر الأحمر عن طريق البعثات التبشيرية الكاثوليكية برئاسة المبشر دي جاكوبي de Jacobi الذي استقر في مصوع دون أن تمنعه السلطات المصرية صاحبة السيادة من ممارسة نشاطه الديني بالمنطقة⁽⁵⁵⁾.

في عام 1866م طلبت غرفة جنوه التجارية من الحكومة أن تقوم بالاستيلاء على أحد الموانئ الإفريقية حتى يتمكن الإيطاليون من العمل تحت حماية دولتهم، وفي العام التالي تأسست الجمعية الجغرافية الإيطالية بفلورنسا، كما ظهرت الجمعية الإفريقية في نابولي وهدف الجميع الوصول إلى أفضل الطرق التجارية للاستفادة من إفريقيا خاصة وأنهم كانوا يدركون بأن أهمية البحر الأحمر ستزداد بعد فتح قناة السويس، وقامت هذه المجموعات بإجراء مجموعة من الدراسات انتهت باقتراح استغلال ميناء عصب⁽⁵⁶⁾ لإقامة محطة لتزويد السفن في رحلاتها بين جنوه والهند، ومع افتتاح قناة السويس سارعت الحكومة

الإيطالية بتخصيص ميزانية من عدة ملايين من الليرات لشراء السفن اللازمة للملاحة في البحر الأحمر في الوقت الذي كان فيه سابيتو⁽⁵⁷⁾، يفاوض الشيوخ المحليين على سواحل البحر الأحمر لشراء الأرض اللازمة لإيطاليا، لصالح شركة «روباتينو» التي كانت تعمل جاهدة لإنشاء خط ملاحى بين جنوه وبومباي، وفي 11 مارس 1870م نجح «سابيتو» في توقيع اتفاقية مع كل من عبد الله شاهين وأبناء أعمامه حسن وإبراهيم بن أحمد لشراء الأرض الواقعة بين رأس لومه وجبل «جنجا» تشمل ميناء عصب مقابل ثمانية آلاف ريال⁽⁵⁸⁾. وبعد ظهر يوم 18 مارس 1870م وصلت سفينة «سابيتو» إلى رأس دميره وتحدث سابيتو مع برهان بن محمد شيخ «رهيطه» الذي وافق على بيع جزر أم البقر ورأس الرمل في أرخبيل «الدرمكية» لمدة عشر سنوات مقابل ستمائة ريال، وبعد توقيع العقد رفع «سابيتو» العلم الإيطالي على رأس «لومه» ووضع لافتتين عند الحدود الشمالية والجنوبية للأراضي التي اشتراها كتب عليها «ملك روباتينو» بعدها عاد إلى بلاده على ظهر السفينة فيديتا Vedetta⁽⁵⁹⁾.

هكذا نلاحظ أن مسألة عصب بدأت كمشروع لأفراد، كما أن شركة «روباتينو» اعتبرت الشيوخ المحليين الذين اشترت منهم هذه الأراضي شيوخاً مستقلين وحاولت أن تعطي حقوق ملكيتها للحكومة الإيطالية ولعلّ هذا السيناريو مكرر بين مختلف الدول الاستعمارية التي تبدأ مسلسل استيلائها على الأرض بالمبشرين ثم الشركات التجارية قبل أن يؤول الأمر في النهاية إلى الدولة التي تمثل الحلقة الأخيرة في مسلسل الاستعمار. واعتقد «سابيتو» المبشر الذي تحول لمستعمر اعتقد أن عصب يمكن أن تلعب دوراً مميزاً في التجارة بين أوروبا والحبشة⁽⁶⁰⁾.

التنافس الأوروبي على البحر الأحمر بعد افتتاح قناة السويس: أولاً: فرنسا:

كانت آمال فرنسا كبيرة في البحر الأحمر خاصة وأنها كانت تطمح في الحصول على بضعة ملايين من الأميال المربعة في شرقي السودان ووادي النيل وإثيوبيا، لذلك أرادت أن تكون لها محطة بحرية على البحر الأحمر حتى لا تقع تحت سيطرة بريطانيا في عدن خاصة إذا تأزمت الأمور بين الدولتين⁽⁶¹⁾، كما قام الفرنسيون بدور آخر في منطقة الشيخ سعيد الواقعة غرب عدن وتطل على مضيق باب المندب من ناحية الشرق، وقاموا بشرائها من الشيخ ثابت الحكمي مقابل أربعين ألف ريال، وكان الهدف إقامة وكالة فرنسية في تلك المنطقة ترعى مصالحهم في البحر الأحمر أسوةً بما فعله البريطانيون في

عدن. لكن رد الفعل البريطاني كان عنيفاً من حاكم عدن وحاكم جزيرة بريم الذي ادعى أن هذه المنطقة تابعة للحكومة العثمانية، كما أن السفير البريطاني بالأستانة أشار إلى أن السلطان العثماني هو صاحب السيادة والسلطة الشرعية في بندر الشيخ سعيد، ولعل هذه النقطة توضح بجلاء مدى النفاق البريطاني الذي طالما استغل السيادة العثمانية والمصرية لإبعاد منافسيه في الوقت الذي جعلت بريطانيا من نفسها وصياً على نفس الممتلكات لكن مما لا شك فيه أن هدف الحكومة البريطانية يتلخص في محاولة منع فرنسا من إقامة مستعمرة في الشيخ سعيد التي تجاور عدن تماماً، الأمر الذي يشكل تهديداً خطيراً للمصالح البريطانية هناك. لكن في النهاية وجدت فرنسا أن الشيخ سعيد لا تصلح كميناء لأسباب فنية وتخلت عنها من تلقاء نفسها وليس رضوخاً للإدارة البريطانية⁽⁶²⁾.

غير أن المشروع الاستعماري الفرنسي مشروع البحر الأحمر- المحيط الأطلسي لم يكلل بالنجاح نتيجة لوقوف بريطانيا بقوة ضد فكرة السيطرة الفرنسية على المنطقة لأن ذلك يشكل تهديداً خطيراً لوجودها في عدن ومدخل البحر الأحمر حتى أن بريطانيا فضلت استيلاء إيطاليا الأقل قوة ومعارضة على جزء من المنطقة بدلاً من استيلاء فرنسا عليه⁽⁶³⁾.

ثانياً: إيطاليا:

فتحت قناة السويس المجال أمام الأطماع الإيطالية في البحر الأحمر واندفعت بسفن أسطولها البحري لتبحث عن مراكز لها على البحر الأحمر، وبالمقابل كانت بريطانيا بعد احتلالها لمصر في سنة 1882م حريصة على تقوية بعض العناصر على حساب العناصر الأخرى تبعاً لمطالبات المصالح البريطانية، لذلك نراها في البداية تعارض النشاط الإيطالي في المنطقة لكنها ما لبثت أن عدلت عن سياستها وبدأت تعمل على استرضاء إيطاليا خشية من التحالف الفرنسي- الحبشي الذي يمكن أن يهدد المصالح البريطانية في المنطقة⁽⁶⁴⁾.

كان للأزمات التي مرت بها مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي من العوامل القوية التي يسرت لإيطاليا تحقيق أهدافها الاستعمارية في ساحل البحر الأحمر الغربي⁽⁶⁵⁾، ففي عام 1870م أسست إيطاليا مستعمرة تجارية في عصب واتخذت منها قاعدة ومحطة لتمويل السفن الإيطالية على طول طريق الملاحة الجديد الذي يمر عبر قناة السويس، وذلك على الرغم من شمول السيادة المصرية- العثمانية على المنطقة إلا أن بريطانيا تواطأت مع إيطاليا وتبادلت معها عدداً من المذكرات الدبلوماسية واتضح من خلالها عدم معارضة بريطانيا على سيطرة إيطاليا على هذه المناطق على

الرغم من إقرار بريطانيا لعدم ملكيتها للمناطق المذكورة⁽⁶⁶⁾. في أواخر عام 1879م أرسلت الحكومة الإيطالية المبشر الإيطالي «سابيتو» إلى إقليم عصب لشراء المزيد من الأراضي بحجة استخدامها لأغراض تجارية، لذلك قام بعقد اتفاقية جديدة مع الشيخ برهان بن محمد سلطان «راجيتا»، في 30 ديسمبر 1879م احتلت بموجبها شركة «روباتينو» جزر أم البقر ورأس أم الرمل ومجموعة جزر دار مكياء. وفي 15 مارس 1885م عقد سابيتو اتفاقاً آخرًا مع الشيخ برهان الذي تنازل للإيطاليين عن الجزر الواقعة في خليج عصب، واستمرت إيطاليا في عقد اتفاقيات مع الشيوخ، وتطورت السياسة الإيطالية لاحقاً من اتفاقيات التنازل والبيع والشراء إلى عقد اتفاقيات الحماية، ففي 20 سبتمبر 1880م عقد سابيتو معاهدة حماية مع برهان بن محمد وضعته وبلاده تحت رحمة وخدمة إيطاليا، وعلى كل توضيح هذه الاتفاقيات مدى جهل هؤلاء الزعماء الذين أهدروا كل حقوقهم الوطنية مقابل المال والاحتفاظ بمقاعدهم⁽⁶⁷⁾.

استمرت إيطاليا في استكمال مستعمراتها في ساحل خليج عصب، لذلك أصدرت أمراً وزارياً في 24 ديسمبر 1880م قضى بتعيين مفوض سياسي إيطالي في عصب وتم اختيار السنيور «برانكي» لهذه المهمة ليعمل على تثبيت دعائم السيطرة الإيطالية في المنطقة، واتخذت إيطاليا من عصب مستعمرة وقاعدة عسكرية ومحطة لتمويل السفن الإيطالية على طول طريق الملاحة الجديد الذي يمر عبر قناة السويس⁽⁶⁸⁾. اختارت إيطاليا الوقت المناسب لتنفيذ سياستها التوسعية في الساحل الغربي للبحر الأحمر، فمصر كانت تعاني من مشاكل مختلفة جراء التدخل الأجنبي في شؤونها الداخلية، بالإضافة إلى الضغط البريطاني الذي توج باحتلال مصر وإجبارها عن الانسحاب من سواحل البحر الأحمر والسودان بحجة قيام الثورة المهدية، هذا فضلاً عن الأزمة المالية الطاحنة التي كانت تعانيها مصر مما يجعلها غير قادرة على استمرار إدارتها بتلك الأصقاع، أيضاً رأت بريطانيا أنه من مصلحتها موانع السياسة الإيطالية في التوسع على حساب أملاك مصر في ساحل البحر الأحمر الغربي بهدف أن تكون إيطاليا حارساً لتلك البقاع⁽⁶⁹⁾.

أما مصر فقد حاولت بشتى السبل الدبلوماسية والعسكرية أن تحتج على التناول الإيطالي على ممتلكاتها، لكن انتهت مساعيها إلى الفشل خاصة وأن بريطانيا كانت تقف إلى جانب إيطاليا كما أسلفنا. لذلك استمرت إيطاليا في توطيد سلطانها بالمنطقة وعقدت اتفاقية جديدة مع سلطان عصب ورئيس الدناكل في 15 مارس 1883م⁽⁷⁰⁾، أيضاً عقدت اتفاقية مع ملك شوا حصلت

بمقتضاه إيطاليا على الكثير من المكاسب التي تشمل الامتيازات التجارية والجمركية وحرية الإقامة والعبور وتعيين الدبلوماسيين، بالإضافة إلى حماية الساحل المقابل للممتلكات الإيطالية، فضلاً عن تولي إيطاليا للشؤون الخارجية لملكة شوا⁽⁷¹⁾.

استمرت إيطاليا في التوسع حيث قام السنيور «ماتشيني» وزير الخارجية الإيطالي بإبلاغ المقيم الإيطالي في عصب بتاريخ 23 يناير 1885م بقرار الحكومة الإيطالية بإرسال حامية إلى عصب لتدعيم النفوذ الإيطالي هناك، أيضاً قررت الحكومة الإيطالية السيطرة على ميناء «بيلول» الواقع شمال عصب بعد انسحاب الحامية المصرية منه، وقامت فرقة بحرية إيطالية باحتلال الميناء في 25 يناير 1885م، وبرر سفير إيطاليا بالأستانة هذا الإجراء بضرورة وضع حد للفوضى الضاربة في «بيلول» والتي يمكن أن تهدد المستعمرة الإيطالية في عصب، وفي اليوم التالي مباشرة قام «ماتشيني» بإبلاغ ممثلي إيطاليا في كل من برلين ولندن وباريس وبطرسبرج وقينا بمبررات إيطاليا لاحتلال «بيلول» على نحو ما فعل سفيره بالأستانة⁽⁷²⁾.

مهما يكن من أمر فإن إيطاليا بعد أن ثبتت أقدامها في عصب تطلعت نحو الشمال لاحتلال مصوع بتنسيق كامل مع بريطانيا التي رأت أن احتلال إيطاليا لمصوع هو لفطة ودية منها تجاه بريطانيا⁽⁷³⁾، الأمر الذي يشير إلى مدى التناغم والتنسيق بين الدولتين الاستعماريتين لنهب الممتلكات المصرية-العثمانية. استكملت إيطاليا مخطتها بإرسال سفينتين حربيتين لاحتلال مصوع وانتزاعها بالقوة من مصر في 5 فبراير 1885م⁽⁷⁴⁾.

احتجت الحكومة المصرية على احتلال إيطاليا لمصوع، وكذلك الحال بالنسبة للباب العالي الذي اعتبر الخطوة الإيطالية تعدياً على حقوق السيادة العثمانية وانتهاكاً للفرمانات السلطانية وهدد باستخدام القوة المسلحة لطرد الطليان من مصوع، لكن في نهاية الأمر استمر نشاط إيطاليا في تأسيس مستعمرتها في كل من عصب ومصوع على الشاطئ الغربي للبحر الأحمر⁽⁷⁵⁾. وفي 25 يوليو 1888م أعلنت إيطاليا سيادتها على مصوع بحجة أن إخلاء السودان وسحب القوات المصرية منه يعني تخلي مصر عن حقوق سيادتها في تلك البقاع وبذلك تصبح مصوع ملكاً مباحاً Res Nullius ولعل نظرية الحكم المباح تعتبر قفزاً على الحقوق التاريخية والقانونية التي تعلمها إيطاليا جيداً، لكن إيطاليا كانت تستند فقط على الدور الذي لعبته بريطانيا في منطقة البحر الأحمر وذلك عندما أرادت تمكين إيطاليا في عصب ومصوع لكي تضرب بها أطماع الفرنسيين هناك حتى لا يشكلوا خطراً على المصالح البريطانية في عدن وطريقها إلى الهند

عبر البحر الأحمر، في نفس الوقت تحالفت بريطانيا مع إيطاليا بموجب اتفاق تم عقده في 1887م نص على أن تقوم أي من الدولتين بتأييد الأخرى إذا قامت حرب بين إحداهما وفرنسا، ولاحقاً انضمت ألمانيا إلى هذا التحالف⁽⁷⁶⁾.

بعد أن استقر الأمر لإيطاليا في مصوع بدأت التوسع تجاه الحبشة فاحتلت العديد من المناطق بطرق مختلفة تتراوح بين استخدام القوة المسلحة، وأحياناً عن طريق البعثات العلمية والتجارية، ففي 7 يوليو 1887م عقدت اتفاقية مع سلطان الدناكل⁽⁷⁷⁾، وبعد نحو شهر واحد عقدت معه اتفاقية أخرى تكفل لها المزيد من الامتيازات⁽⁷⁸⁾.

استمرت إيطاليا في تحقيق طموحاتها التوسعية إلى أن بلغت الدبلوماسية الإيطالية أوج نجاحها في شرق إفريقيا في القرن التاسع عشر بإبرام معاهدة «أوتشالي» في 2 مايو 1889م⁽⁷⁹⁾، وذيلها الإضافي في أول أكتوبر 1889م⁽⁸⁰⁾، مع «منليك الثاني» مما أظهر الحبشة أمام الدول الأوروبية كمنطقة نفوذ إيطالية، كما دعم مركز إيطاليا السياسي في أملاكها على ساحل البحر الأحمر الغربي، وفي أول يناير 1890م أصدر ملك إيطاليا «همبرت» مرسوماً ملكياً وحد فيه الأملاك الإيطالية في ساحل البحر الأحمر الغربي في إقليم واحد أطلق عليه مستعمرة ارتريا ERITREA، كما نظم الإدارة المدنية في هذه المستعمرة، وفي 5 مايو 1894م عقدت معاهدة بين الدولتين أقرت فيه بريطانيا ما أخذته إيطاليا على حدود البحر الأحمر⁽⁸¹⁾.

ثالثاً: بريطانيا والسودان:

حتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي لم تنظر بريطانيا إلى السودان كقوة مهددة لمصالحها في المنطقة، أو في الشرق الأقصى، بعد الاحتلال البريطاني لمصر في 1882م أدركت بريطانيا أن للسودان أهمية استراتيجية واقتصادية وسياسية ليس فقط بالنسبة لوضعها في مصر، فحسب بل بالنسبة لسياستها في إفريقيا والشرق الأوسط بأكمله، وهو ضروري أيضاً لاحتفاظ بريطانيا بمركزها في مصر كما عبر عن ذلك اللورد كرومر⁽⁸²⁾. وقد أوضح ونجت باشا هذا الهدف فيما بعد حين كتب يقول: (طالما أن السودان في قبضتنا فأننا نمسك بمقاليده الأمور في مصر لأننا نسيطر على مصادر مياهها⁽⁸³⁾).

من الناحية الاقتصادية يمثل السودان مخزناً لإمداد بريطانيا بالمواد الخام ويمكن أن يكون سوقاً طيبة للبضائع البريطانية⁽⁸⁴⁾. ويسمح كذلك لبريطانيا التحكم على السواحل الغربية للبحر الأحمر التي تطل على مصر والسودان، ويضمن الأمن اللازم لخط مواصلاتها مع الهند⁽⁸⁵⁾.

هكذا كان السودان عظيم الفائدة لمشروعات بريطانيا الاستعمارية المختلفة، لكن قيام الثورة المهدية هدد تلك المشروعات بالفشل الأمر الذي جعل بريطانيا تسعى سعياً حثيثاً للمحافظة على مصالحها الحيوية في المنطقة ومن ثم إبعاد الخطر المهدوي عنها.

بعثة ستوارت:

رغم أن بريطانيا كانت تزعم قبل هزيمة «هكس» بأنها لا تريد أن تتدخل في شؤون السودان، لكن السبل التي سلكتها بعد هذا الإعلان تتناقض بشكل كبير مع ما سبق وأن أعلنته، ولعل أول بادرة في هذا الاتجاه جاءت من خلال المذكرة التي قدمها الكولونيل تشارلس ولسن⁽⁸⁶⁾، إلى المندوب السامي البريطاني بالقاهرة «إدوارد مالت» في يوم 19 سبتمبر 1882م أي بعد الاحتلال البريطاني لمصر بقليل، وصف فيها الموقف في السودان بأنه متناهٍ في الاضطراب، واقترح ولسون إرسال ضابطين من الضباط البريطانيين إلى السودان وتكليفهما بكتابة تقرير عن حالته الراهنة وما يلزم من الوسائل لتوطيد دعائم الأمن في ربوعه⁽⁸⁷⁾. وبالفعل تم اختيار ستوارت لهذه المهمة، ووصل الخرطوم في 9 فبراير 1883م ومكث بها بعض الوقت قبل أن يغادرها في مارس 1883م عائداً إلى القاهرة عن طريق سنار، كسلا ومصوع. وكانت نتيجة هذه البعثة ذلك التقرير الذي وضعه عن السودان وهو بالخرطوم، وبعث به إلى «إدوارد مالت» وهو بدوره بعث به إلى اللورد جرانفيل في 6 مارس 1883م. وفي هذا التقرير اقترح الإصلاحات التي يرى إدخالها حتى يتسنى إقامة الحكومة النافعة والقوية في السودان، أيضاً تضمن التقرير توصيات ستوارت لمعالجة الموقف الناشئ عن قيام الثورة المهدية⁽⁸⁸⁾.

في سبتمبر 1883م تم تعيين أفلينج بيرنق «لورد كرومر» مندوباً سامياً لبريطانيا في مصر وقد كان أكثر التزاماً بسياسة عدم التدخل من سلفه وحثه جرانفيل بضرورة توقي الحذر فيما يتعلق بموضوع السودان، ولكنه لم يلبث أن تراجع عندما كلف كرومر بتأييد مشروع بناء خط حديدي يربط بين سواكن وبربر⁽⁸⁹⁾.

نخلص إلى أن إعلان بريطانيا لسياسة عدم التدخل في قضية السودان، إعلان يتناقض بشكل كبير مع ما يقوم به ممثلوها في القاهرة وما يظهر في المكاتبات التي تمت مبادلتها بينهم وبين وزارة الخارجية البريطانية تحمل الدلائل التي تثبت تدخل الحكومة البريطانية في شأن السودان ومحاولاتها المستمرة لتوجيه الأمور إلى الاتجاه الذي يخدم مصالحها، ويمكن القول أن بريطانيا تفاعلت مع أحداث السودان منذ احتلالها لمصر فهي التي أرسلت

ستيوارت وأعقبته بتعيين هكس، ووضعت الحكومة البريطانية بالتنسيق مع ممثلها في القاهرة كل الترتيبات التي من شأنها خدمة مصالحها في المنطقة بالطريقة التي تراها مناسبة، فبعد هزيمة هكس أخذت السياسة البريطانية تتجه نحو مزيد من التدخل عندما أجبرت الحكومة المصرية على قبول سياسة الإخلاء واختارت غردون بعد جدل طويل كي يقوم بالتنفيذ⁽⁹⁰⁾.

السياسة البريطانية في شرق السودان :

في الوقت الذي اقترحت فيه بريطانيا سياسة الإخلاء في شمال ووسط السودان لم تشأ أن تطبق ذات السياسة على شرق السودان وسواحل البحر الأحمر بل احتفظت بها وذلك حرصاً منها على سلامة طريقها إلى الهند⁽⁹¹⁾، أيضاً قصدت بريطانيا منع عبور الثورة المهدية إلى منطقة الحجاز للحيلولة دون الاتصال المباشر بين القبائل التي تقطن على جانبي البحر الأحمر شرقاً وغرباً الأمر الذي سيكون له نتائج خطيرة على مصالحها في المنطقة⁽⁹²⁾.

عقب اشتعال الثورة المهدية في شرق السودان بقيادة عثمان دقنه⁽⁹³⁾، في عام 1883م أرسلت الحكومة البريطانية «فالتاين بيكر» إلى شرق السودان بسلطات كاملة عسكرية ومدنية على أساس أن يكسب ود القبائل في المنطقة بكافة الأساليب من إغداق النياشين والمال والوظائف وغيرها، وعهد إليه أيضاً بفتح الطريق بين سواكن وبربر وتأمينه هذا فضلاً عن القضاء على عثمان دقنه⁽⁹⁴⁾.

قاد «بيكر» قواته إلى طوكر حيث دارت بينه وبين عثمان دقنه معركة «التيب الثانية» في 4 فبراير 1884م وانتهت بهزيمة بيكر هزيمة ساحقة⁽⁹⁵⁾.

على صعيد آخر استولت الحكومة البريطانية على ميناء سواكن وعينت الأميرال هويت Hewett حاكماً عسكرياً على سواكن ولم تبلغ الخديوي نبأ هذا الاحتلال إلا بعد وقوعه، وهو أمر يتناقض بشكل كبير مع سياسة الإخلاء. فهي تتطلب من مصر إخلاء السودان في الوقت الذي تضع فيه يدها على سواحل البحر الأحمر، وعندما اعترضت تركيا على هذا الإجراء البريطاني أجابها «اللورد دفرين» سفير بريطانيا بالأستاتنة «بأن حوادث السودان أجبرت الحكومة البريطانية على اتخاذ بعض الوسائل الوقائية لحماية ثغور البحر الأحمر ولكنها عازمة عندما تعود السكينة ألا تعمل شيئاً قبل مشورة الباب العالي⁽⁹⁶⁾.

كرد فعل لهزيمة بيكر قررت الحكومة البريطانية القيام بعمل حاسم يرضي الرأي العام البريطاني بالرغم من اعتراض غردون وجلاستون على هذا الإجراء إلا أن الحكومة قررت إرسال أربعة آلاف جندي بريطاني بقيادة جراهام⁽⁹⁷⁾، للانتقام لهزيمة «بيكر» واحتلال شرق السودان بالإضافة إلى فتح طريق سواكن وبربر⁽⁹⁸⁾.

هكذا انجرفت السياسة البريطانية في تناقض واضح فالإخلاء واتباع السياسة السلمية في شمال ووسط السودان، وحروب دامية في الشرق لكن يبدو أن المصالح البريطانية كانت وراء هذا التناقض في سياستها تجاه السودان. وصلت حملة جراهام سواكن في أواخر فبراير 1884م ومنها أبهرت إلى «ترنكتات» فوصلتها في 28 فبراير 1884م وبعث جراهام يتجسس أخبار طوكر التي سلمت للأنصار منذ 24 فبراير 1884م⁽⁹⁹⁾، فقاد قواته نحو طوكر وخاض واقعة «التيب الثالثة» وانتصر فيها، قبل أن يخوض معركة «تاماي» في 13 مارس 1884م وانتهت أيضاً لصالح القوات البريطانية. لكن مع ذلك لم يستطع جراهام أن يحقق الأهداف التي أرسل من أجلها، وفي 3 إبريل 1884م عاد جراهام إلى مصر ولحقت به قواته. في 10 مايو 1884م عينت الحكومة البريطانية الماجور تشرمسيد Chermiside حاكماً على سواكن وكانت تحت قيادته قوات مصرية وإنجليزية لحماية سواكن⁽¹⁰⁰⁾.

في عام 1886م عينت السلطات البريطانية كتشنر حاكماً على سواكن وشواطئ البحر الأحمر وفي يناير 1888م قاد كتشنر حملة إلى «هندوب» مقر دقنة الذي تمكن من صد الهجوم، ولكنه هزم في ديسمبر 1888م بعدها أخذ موقف دقنة في التدهور خاصة بعد وفاة الشيخ الطاهر المجذوب الذي كان له دور بارز في تعبئة قبائل المنطقة للحرب إلى جانب المهدي لذلك عقب وفاته قررت الحكومة البريطانية القيام بعمليات عسكرية ضد عثمان دقنة، فاحتلت هندوب في يناير 1891م ثم زحفت قواتها إلى «ترنكتات» ثم إلى معسكر دقنة في «عفافيت» حيث هزمت دقنة قبل أن تحتل مدينة «طوكر» وبعدها غادر دقنه منطقة البحر الأحمر وأقام معسكره في منطقة «أدارما» على نهر عطبرة الأمر الذي أدى إلى انحسار نشاط الثورة في المنطقة التي آل أمرها للبريطانيين⁽¹⁰¹⁾.

في الخرطوم أخذ يتحرج موقف غردون إثر الحصار المفروض على المدينة من قبل أنصار المهدي، ومع تشديد الحصار وبعد الكثير من الجدل والنقاش بين البرلمان والصحافة والرأي العام والحكومة طرح البرلمان التصويت على إرسال حملة إنقاذ غردون أيدها أكثرية ساحقة⁽¹⁰²⁾، وفي 7 أغسطس 1884م قررت الحكومة البريطانية إرسال حملة إنقاذ غردون تحت قيادة ولسي وحددت أهدافها في إنقاذ غردون والمساعدة في إنقاذ الحاميات. لكن رغم الجهود الكبيرة التي بذلتها الحملة في سبيل الوصول إلى الخرطوم إلا أنه مع ذلك لم تحقق المهمة التي كُلفت بها وهي إنقاذ غردون الذي قُتل على أيدي الأنصار الذين اجتاحتهم الخرطوم في 26 يناير 1885م، وعندما علمت لندن بنبأ مقتل غردون وقع الخبر وقوع الصاعقة هناك واضطرت الحكومة

أمام إلحاح الرأي العام وولسلي في طلب التعليمات المفصلة عن الخطة الواجب اتباعها بخصوص السودان⁽¹⁰³⁾، اضطرت الحكومة إلى تغيير هدف الحملة وأصدرت تعليماتها إلى ولسلي بأن مهمته الجديدة تتلخص في إنقاذ غردون لو كان حياً أو التأكد من موته ومن ثم إيقاف تقدم المهدي⁽¹⁰⁴⁾، كان رأي الحكومة البريطانية أن المخاطرة في العمليات العسكرية ليست ضرورية في ذلك الوقت، ولكنها مع ذلك أبدت استعدادها لإرسال أي إمدادات يطلبها ولسلي وذكر هارتنقتون أن هدف الحكومة البريطانية هو هزيمة المهدي في الخرطوم وعلى ولسلي أن يحدد زمن الهجوم والإمدادات التي يحتاجها⁽¹⁰⁵⁾.

هكذا قررت الحكومة البريطانية أن تتدخل بشكل سافر في السودان لكن أدى تدخل روسيا في أفغانستان إلى تجميد هذه السياسة وكتبت الحكومة البريطانية إلى ولسلي بأن تطورات المسألة الشرقية⁽¹⁰⁶⁾، حالت دون تمكن الحكومة من وضع سياسة شاملة لمستقبل سياستها في السودان⁽¹⁰⁷⁾.

نخلص إلى أن الحكومة البريطانية بالرغم من أنها حددت في البداية بأن مهمة الحملة تنحصر في إنقاذ غردون والمساعدة في إنقاذ الحاميات، إلا أن الحكومة البريطانية إثر مقتل غردون تخلت عن الأهداف المعلنة وانحازت تماماً إلى جانب التدخل في السودان وهزيمة المهدي، لكن نتيجة للتغيرات السياسية التي طرأت على الحكومة البريطانية والتي تمثلت في سقوط حكومة جلادستون وإحلال حكومة سالسبوري، بالإضافة إلى الخطر الروسي على أفغانستان، قررت الحكومة البريطانية الانسحاب، ولكن هذا القرار كان وليد ظروف معينة الأمر الذي لا يشير إلى أن بريطانيا قد تخلت عن السودان أو التدخل في شؤونه وتوجيه مساره إلى الاتجاه الذي يخدم مصالحها في المنطقة. في تاريخ لاحق تخلت بريطانيا بشكل نهائي عن سياسة عدم التدخل في السودان متعلقة بأن السودان أصبح هدفاً ومطمعاً للعديد من الدول الأوروبية الأخرى، فبعد أن فرغت من تدريب الجيش المصري، وتأكدت من ضعف الدولة المهدية بعد هزيمة قواتهم في معركة توشكي 3 أغسطس 1889 م، بدأت فعليا بإعادة احتلال السودان، واكتملت عملية الاحتلال عندما تمكنت قواتها بقيادة كتشنر من هزيمة الجيش المهدي في معركة أم درمان قبل أن تتمكن من قتل الخليفة عبد الله في معركة أم ديبكرات وبذلك انتهت عملياً دولة المهدية في السودان الذي آل أمره للمستعمر البريطاني⁽¹⁰⁸⁾. وبذلك تمكنت بريطانيا من التحكم على السواحل الغربية للبحر الأحمر التي تطل على مصر والسودان، وضمنت أمن خط مواصلاتها مع الهند فضلاً عن إحكام قبضتها على مصر من خلال السيطرة على نهر النيل بالإضافة إلى العديد من الفوائد الاقتصادية والسياسية والعسكرية وغيرها.

نخلص إلى أن منطقة البحر الأحمر ومداخله المختلفة حظيت بدرجة كبيرة من الأهمية التي تضاعفت كثيراً بعد حفر قناة السويس وافتتاحها للملاحة الأمر الذي جعل من البحر الأحمر شرياناً للملاحة العالمية، لذلك لم يكن من المستغرب أن تلتقي فيه أطماع الدول الأوروبية ففرنسا دخلت المعترك ولكنها لم تحقق نجاحات كبيرة». أما إيطاليا فقد كانت حليفاً لبريطانيا التي ساندتها بغرض تحجيم أطماع فرنسا في المنطقة، لذلك حصلت على إترتيا على الساحل الغربي للبحر الأحمر. أما بريطانيا فقد سبقت غيرها من الدول الأوروبية وسيطرت على عدن ذات الموقع الاستراتيجي المهم لمصالحها في الهند، ومنها انطلقت إلى أماكن أخرى لتضع يدها على مواقع مختلفة تتمتع بذات الأهمية كباب المندب وملحقاته والقرن الإفريقي ومصر والسودان وقناة السويس ليصبح البحر الأحمر بحيرة بريطانية.

الجدير بالذكر أن هذه الدول الأوروبية تنوعت وسائل سيطرتها بين الحروب وغيرها من أساليب الغش والخداع على السيطرة على منطقة البحر الأحمر ومداخله مستغلةً في كثير من الأحيان جهل وسذاجة الزعماء والشيوخ وافتقارهم للوعي السياسي، مع العلم أن جميع تلك المعاهدات لم تكن شرعية لأن المنطقة التي تم توزيعها بين هذه الدول كانت ملكاً للدولة العثمانية أو مصر.

البحر الأحمر في الحرب العالمية الأولى: الدور الاستراتيجي للبحر الأحمر:

حرصت بريطانيا للسيطرة على مداخل ومخارج البحر الأحمر حتى تتحكم وتطمئن على مصالحها في طريق مستعمراتها إلى الشرق الأقصى، لذلك اجتهدت لتكون صاحبة الكلمة العليا في منطقة البحر الأحمر متبعةً شتى الوسائل لإبعاد كل من يهددها أو يمس مصالحها في المنطقة، فعلى مستوى الدول الأوروبية تصدت للطموح الفرنسي في الوقت التي ساندت فيه إيطاليا لأنها التي لا تشكل تهديداً صريحاً لبريطانيا التي انتهجت طرق شتى بهدف المحافظة على مصالحها في منطقة البحر الأحمر الذي أصبح بحيرة بريطانية خالصة وذلك من خلال الخطوات الآتية:

أولاً: العلاقات العثمانية البريطانية:

يرى جورج لتوفسكي أن سجل علاقات بريطانيا مع الدولة العثمانية يتسم بكثير من النفاق فبينما كانت تدعي بريطانيا أن سياستها تقوم على تكامل الدولة العثمانية⁽¹⁰⁹⁾، كانت تتعاطف مع المسيحيين الذين يعيشون داخل أرضي الدولة العثمانية⁽¹¹⁰⁾، وهو أمر يتعارض ويتناقض مع سياسة بريطانيا

المعلنة تجاه الدولة العثمانية الأمر الذي يعكس منهج السياسة البريطانية في تحقيق مصالحها بشتى الطرق والوسائل التي تتناقض مع بعضها البعض. وربما كانت هناك عوامل محددة أدت إلى ذلك التحول في العلاقات العثمانية - البريطانية خاصة بعد ظهور أهمية مصر بعد افتتاح قناة السويس، ثم الاحتلال البريطاني لمصر وهو حدث عمق من أجواء العداء المشترك بين الدولتين، أعقب ذلك امتياز خط سكة حديد بغداد في 1903م وشعور البريطانيين بأن إنجاز هذا الخط يهدد المصالح البريطانية في الخليج، كل هذه العوامل مثلت بداية تحول في العلاقات العثمانية - البريطانية.

في ظل الظروف التي بدأت فيها العلاقات العثمانية - البريطانية تتجه نحو العداء أخذت الدولة العثمانية تبحث عن صديق وحليف جديد يمكن أن يعينها على القضاء على مخاوفها، ووجدت في ألمانيا ما كانت تبحث عنه وبدأ الألمان في التعاون الفعلي مع العثمانيين وقدموا لهم بعض الخدمات وتبني الألمان مسألة إعادة تنظيم الجيش العثماني في عام 1882م ثم تلت ذلك الزيارتان المشهورتان اللتان قام بهما الامبراطور الألماني غليوم الثاني إلى الدولة العثمانية في عامي 1889م و 1898م وكان لهذه الخطوات دوراً في اطمئنان السلطان العثماني الذي اعتقد بأنه وجد الحليف المناسب الذي يمكن أن يستعين به ضد الدول الأخرى وعلى رأسها بريطانيا⁽¹¹¹⁾، التي بدأت تخشى من تهديد ألمانيا لمصالحها في إفريقيا ومنطقة البحر الأحمر⁽¹¹²⁾.

بالنسبة للسلطان العثماني فقد رأى بأن ظهور ألمانيا القوية والمتطورة تجارياً وعسكرياً كفيل بالإخلال بالتوازن الأوروبي الأمر الذي يمكن أن يصب في مصلحة الدولة العثمانية.

ثانياً: العلاقات بين الدولتين في المنطقة قبيل الحرب العالمية الأولى:

تظهر أبعاد العلاقة بشكل واضح في المناطق الحدودية التي تحد مناطق نفوذ كل منهما في اليمن وعدن وأطراف الجزيرة العربية. يعتبر العثمانيون الجزيرة العربية جزءاً من أملاك السلطان العثماني⁽¹¹³⁾، الأمر الذي جعلهم يرفضون وجهة النظر البريطانية التي تعتبر القبائل التسع من جنوب الجزيرة العربية منطقة مستقلة وسبق لبريطانيا أن ربطت هذه المناطق بمعاهدات منعت بموجبها هؤلاء الزعماء والشيخوخ من الاتفاق مع أي قوة خارجية إلا بعد معرفة وموافقة بريطانيا⁽¹¹⁴⁾، وكان الهدف هو إجبار الدولة العثمانية⁽¹¹⁵⁾، على تحديد الحدود، وبعد شد وجذب ونجح المفاوضات من الطرفين العثماني والبريطاني في تحديد خط الحدود الذي بلغ طوله 138 ميلاً يمتد من يافع العليا من الشمال الشرقي إلى مسافة قصيرة من الشيخ سعيد والساحل في الجنوب الغربي⁽¹¹⁶⁾.

في هذه الأثناء كانت الثورة اليمنية ضد العثمانيين في أوج اشتعالها لكن مع سيطرة العثمانيين على اليمن أمنوا طرق القوافل الأمر الذي دعم المصالح البريطانية في عدن، أيضاً كان للوجود العثماني في اليمن كبير الأثر في منع أي دولة أوروبية أخرى من احتلالها الأمر الذي يخدم ويحافظ على المصالح البريطانية في البحر الأحمر وطريق مواصلاتهم إلى الهند⁽¹¹⁷⁾.

الأوضاع القائمة في الجزيرة العربية⁽¹¹⁸⁾، قبل قيام الحرب العالمية الأولى:

ساهم الاستعمار البريطاني في جنوب الجزيرة العربية بقدر وافر في تفتيت وتشردم مجتمع الجزيرة العربية خاصة بعد أن أدركت بريطانيا أهمية الجزيرة العربية في تأمين طريق مواصلاتها إلى الهند، لذلك تبسط نفوذها على السواحل الجنوبية والشرقية للجزيرة العربية لا سيما بعد افتتاح قناة السويس التي أصبحت صلة الوصل بين بريطانيا ومستعمراتها في الشرق الأقصى⁽¹¹⁹⁾.

إذاً أدى التدخل البريطاني في شؤون الجزيرة العربية إلى تفتيت وحدتها السياسية إلى جانب عوامل التفتيت الداخلية الموجودة أصلاً⁽¹²⁰⁾. الجدير بالذكر أن الأتراك الذين أداروا دفة الحكم في الدولة العثمانية بين عامي 1908 و 1909م كانوا قد استهلوا علاقاتهم بالجزيرة العربية بعملين لهما أهميتهما فيما يتعلق بسياسة البريطانيين في البحر الأحمر أولهما: افتتاح سكة حديد الحجاز رسمياً في شهر سبتمبر سنة 1908م وكان الخط قد بلغ المدينة المنورة⁽¹²¹⁾. وثانيهما: الموافقة علي عودة الشريف حسين بن علي إلى منصبه أميراً على مكة. وترجع أهمية هذين العملين إلى النتائج العملية التي ترتبت عنهما، فوصول خط سكة حديد الحجاز إلى المدينة⁽¹²²⁾، معناه تأكيد السيادة العثمانية في كل من الحجاز واليمن، كما أن تعيين الشريف حسين كان له أهميته وخطورته في نفس الوقت⁽¹²³⁾، فالاتحاديون الأتراك كانوا يطمعون في أن يصبح الشريف حسين أداة طيعة في أيديهم. لكن سارت الأحداث في اتجاه معاكس لتوقعات الأتراك خاصة بعد اتجاه الشريف حسين نحو بريطانيا لتحقيق طموحاته الشخصية⁽¹²⁴⁾.

أدى وجود زعامات محلية في الجزيرة العربية إلى تحديد الخطوط العامة لخارطتها السياسية. لكن ظلت الدولة العثمانية إلى جانب بريطانيا تمثلان القوتين الرئيسيتين في تاريخ الجزيرة العربية والساحل الشرقي للبحر الأحمر. فبينما كان الشريف حسين في الحجاز مُراقباً من خلال الحامية العثمانية الدائمة بالمدينة المنورة، كان الأمراء من آل الرشيد من حائل يعترفون بسيادة العثمانيين عليهم وكثيراً ما استنجدوا بالأتراك ضد عدوهم عبد العزيز آل سعود⁽¹²⁵⁾، الذي كان هو الآخر في عدااء دائم مع العثمانيين الذين كانت لهم

السيادة العسكرية في الإحساء إلا أنها لم تدم طويلاً، ففي ربيع 1913م انقض عبد العزيز آل سعود على الإحساء واستولى على الهفوف، ثم استولى على «القطيف» وأخرج منها الأتراك الذين كانوا يقيمون بالمنطقة لأكثر من أربعين سنة وبعدها مباشرة بدأ ابن سعود محاولاته للاتصال بالبريطانيين والاستعانة بهم على الأتراك وقام أمير الكويت بدور الوسيط بين الطرفين⁽¹²⁶⁾.

اليمن وعسير: أولاً/ اليمن:

تعددت أنظمة الحكم وتنوعت في بلاد اليمن بشكل كبير، ففي بعض المناطق كانت تحكمها الدولة العثمانية مع وجود بعض القبائل المتمردة وأهمها حزام⁽¹²⁷⁾، أما في المناطق الساحلية تتوزع السلطات بالتساوي تقريباً بين العثمانيين والإمام يحيى⁽¹²⁸⁾، ومن هنا فالسلطة المحلية المتمثلة في الإمام يحيى تستمد ثقلها على الساحة السياسية من القبائل الموالية للإمام⁽¹²⁹⁾. سعت الدولة العثمانية إلى تقوية نفوذها على اليمن⁽¹³⁰⁾، الذي طالما ألحق المتاعب بالعثمانيين عن طريق الثورات والحروب المتصلة لذلك كلفت الدولة العثمانية قائدها في اليمن أحمد عزت⁽¹³¹⁾ ومنحته صلاحيات واسعة لإقرار الأمور في الولاية، فرأى عزت باشا بما تحلت به أخلاقه من شجاعة أدبية ضرورة الاجتماع مع الإمام يحيى الزيدي للتفاوض من أجل التوصل إلى صلح، بالفعل توجه عزت باشا نحو دعان⁽¹³²⁾، وبرفقته عدد من القواد والقضاة وأصحاب الجاه، كان في استقبالهم آلاف الجنود لتحيتهم، بالمقابل كان الإمام يحيى يبذل كل الجهود الحربية والسلمية على السواء للوصول لعقد صلح مع الدولة العثمانية والتفاوض معها. إذ كان للجانبين رغبة في إقرار السلام خاصة وأن هناك عوامل أخرى لعبت دوراً في حمل الأطراف على الإسراع بعقد الصلح سنة 1911م⁽¹³³⁾. أول هذه العوامل تدخل بعض المعنيين بالأمر كوسطاء لتقريب وجهات النظر أمثال أحمد العبدلي سلطان لحج والشريف حسين الذي بذل جهداً كبيراً من أجل إقناع الإمام يحيى بالجنوح للسلام ومصالحة العثمانيين.

أما العامل الثاني الذي كان ذا أثر فعّال في الإسراع بعقد الصلح هو الهجوم الإيطالي على طرابلس الغرب⁽¹³⁴⁾، واحتلالها في وقت كانت تفتقر فيه طرابلس إلى العدد الكافي من الجنود الذين يستطيعون الدفاع عنها خاصة بعد أن سحبته الحكومة العثمانية عدة آلاف من حاميتها وأرسلتهم إلى اليمن لحرب الإمام يحيى، وكان هذا العامل من العوامل التي دفعت الباب العالي للإسراع في

عقد الصلح مع الإمام يحيى. أيضاً كان لأحمد عزت القائد التركي دور مميز في عقد الصلح فقد اتسم عزت بالحنكة الإدارية والسياسية والمهارة العسكرية إلى جانب سعة الأفق وحسن النية الأمر الذي هيا له الوصول إلى اتفاق مع الإمام يحيى تضمن عشرين بنداً توزعت خلالها الصلاحيات والمصالح بين الطرفين وأعطت كل منهما مكانته ووضعيته⁽¹³⁵⁾.

على الرغم من أن هناك العديد من الآراء حول هذا الاتفاق بين مؤيد ومعارض⁽¹³⁶⁾، إلا أن الاتفاق ساعد في استقرار أوضاع اليمن، كما وضع العلاقة بين العثمانيين والإمام يحيى في إطارها الصحيح، أيضاً حل الاتفاق القضية اليمنية وأعطى انطباعاً بأن الدولة العثمانية ترغب في حل قضايا ولاياتها النائية حتى تتفرغ لحل مشاكل أكبر، كما أن الدولة العثمانية كسبت إلى جانبها ولاء بلاد مهمة تشكل جزءاً مهماً في سياسة واستراتيجية البحر الأحمر⁽¹³⁷⁾.

على الرغم من اتفاق العثمانيين مع الإمام يحيى عام 1911م، إلا أن بريطانيا ظلت تخشى من امتداد نفوذ الإمام يحيى جنوباً حيث المناطق الحدودية الحساسة بالنسبة للبريطانيين الذين وافقوا على العرض العثماني للتصديق على اتفاقية عام 1905م⁽¹³⁸⁾، ومن جانب الدولة العثمانية فقد رأت بأن الاتفاق ضروري لمصالحها خاصة وأنها كانت محاصرة بالعديد من المشكلات الداخلية والخارجية الأمر الذي كان له أثر واضح في قبول الدولة العثمانية الدخول في مفاوضات فعلية بشأن الحدود وتم توقيع الاتفاق في 9 مارس 1914م بلندن⁽¹³⁹⁾.

ثانياً: عسير:

أما عسير⁽¹⁴⁰⁾ الواقعة غرب الجزيرة العربية والتي تمتد بين اليمن والحجاز، فقد أطلقت لفظة عسير على تهامة ونجران ليشمل كل المنطقة بين الحدود الجنوبية للحجاز، وقد قام محمد علي الإدريسي⁽¹⁴¹⁾ بانتزاعها من الأتراك وأقام عليها إمارة الأدارسة في عام 1910م، أما ساحل عسير على البحر الأحمر فإن وادي عين يقسم أراضي الإدريسي من تلك التي يسيطر عليها العثمانيون.

تميزت بلاد عسير بطبيعة جغرافية معقدة وتعدد قبائلها، لذلك كان من الصعب أن يحتفظ الحاكم بولاء تام من جميع الرعايا، ومع ذلك كان للإدريسي آمال كبيرة لتكوين دولة وتأسيس ملك مستعينا بالإيطاليين الذين كان لهم وجود في إرتريا على الشاطئ الغربي للبحر الأحمر⁽¹⁴²⁾.

كانت عسير خاضعة للدولة العثمانية إلا أن علاقاتهم باليمنيين لم تكن مستقرة، صعد نجم حاكمها محمد الإدريسي وأصبح شخصية قوية اعتباراً

من 1907م، مع أن الدولة العثمانية لم تهتم لأمره مع بداية ظهوره وكذلك الحال بالنسبة للشريف حسين الذي اعتبرته طفرة سرعان ما ينتهي أمره، لكن تطور الأحداث العالمية ساعدت الإدريسي على الظهور بسبب مساندة إيطاليا له ضد الدولة العثمانية⁽¹⁴³⁾.

سبق لإيطاليا أن احتلت طرابلس في عام 1911م كما مرّ كذلك وجدت في عسير فرصتها وحرّضت الإدريسي على محاربة الأتراك وقدمت له دعمها المادي والحربي، وقام الأسطول الإيطالي بضرب الموانئ اليمنية في العام 1912م⁽¹⁴⁴⁾، ومحاصرتها حتى لا ترسل تركيا تعزيزات إلى ميناء القنفذة في الحجاز⁽¹⁴⁵⁾.

وعندما شعر الإدريسي بأن إيطاليا استنفذت أغراضها من التحالف معه بعد احتلالها لليبيا بحث عن حليف جديد لأنه يعلم سلفاً بأن تركيا لن تغفر له تحالفه مع الإيطاليين، لذلك أسرع لتلبية نداء بريطانيا في بداية الحرب العالمية الأولى. كان الإدريسي واضحاً في معاداته للأتراك وزاد حقه عليهم بعد أن فرقوا بينه وبين حليفه السابق الإمام يحيى بعد أن عقدوا معه صلح 1911م⁽¹⁴⁶⁾، وبموجبه اعترفت تركيا للإمام يحيى بمكانته شمال الهضبة اليمنية بين أتباعه الزيديين واقتنع الإمام بأن هذا الصلح سيدعم مركزه تمهيداً لأن يرث حكم الأتراك إذا ما انسحبوا من اليمن⁽¹⁴⁷⁾.

أما نفوذ العثمانيين في الساحل الجنوبي والشرقي للجزيرة العربية فقد كان ضعيفاً إذ أصبح البريطانيون أصحاب النفوذ الفعلي في هذه الجهات بفضل معاهدات الحماية التي عقدوها مع شيوخ وزعماء المنطقة وعن طريقها أصبحت بريطانيا صاحبة الحل والعقد في المنطقة على حساب النفوذ العثماني⁽¹⁴⁸⁾.

الاستراتيجية العثمانية- البريطانية في منطقة البحر الأحمر بعد إعلان الحرب:

أدى قيام الحرب العالمية الأولى إلى تأثيرات عميقة على أوضاع منطقة البحر الأحمر⁽¹⁴⁹⁾، التي أصبحت ساحة للصراع بين دول الوسط، ودول الوفاق، وكانت عدن مركز محوري ونقطة تمويل البريطانيين للانطلاق في البحر الأحمر وطريق مواصلاتهم إلى الهند، وزادت أهمية عدن الاستراتيجية أثناء فترة الحرب الأمر الذي ضاعف تشبث البريطانيين بها⁽¹⁵⁰⁾، سبق للدولة العثمانية أن عقدت مع ألمانيا معاهدة دفاعية سرية في الثاني من أغسطس 1914م، قبل أن تقوم كل من فرنسا وبريطانيا بإعلان الحرب على الدولة العثمانية في اليوم الثاني من نوفمبر 1914م إثر هجوم الأسطول العثماني على الموانئ الروسية، أما الدولة العثمانية بدورها فقد أعلنت الحرب على الدولتين في 3 نوفمبر 1914م، وفي نفس اليوم أعلنت انضمامها إلى ألمانيا⁽¹⁵¹⁾.

تحولت منطقة البحر الأحمر لأحد الميادين المهمة للحرب وإن انحصر فيها الصراع بالدرجة الأولى بين العثمانيين والبريطانيين، وأصبح موقف العرب ذا أهمية مباشرة للوسط للدرجة التي جعلت الألمان يعملون جاهدين لتصحيح سير العلاقة بين العرب والدولة العثمانية واضعين في الاعتبار أهمية العرب وما يمكن أن يقدموه للوسط من دعم في الحرب⁽¹⁵²⁾، أيضاً يلعب العرب نفس الدور بالنسبة لدول الوفاق ولبريطانيا على وجه التحديد، مع العلم بأن الدولة العثمانية تستطيع أن تهدد مصالح بريطانيا في كل من قناة السويس التي تمثل المدخل الشمالي للبحر الأحمر، أيضاً يستطيع العثمانيون انطلاقاً من الجزيرة العربية اتخاذ مراكز عديدة على طول سواحل البحر الأحمر لبث الأغلام التي تدمر البواخر البريطانية، ويمكنهم من هناك إرسال الرسل إلى مصر والسودان لإمداد الأهالي بالسلاح والأموال وإثارة مشاعرهم ضد دول الوفاق⁽¹⁵³⁾.

هذا فضلاً عن وجود حامية عثمانية في اليمن يمكن أن تهدد البريطانيين في عدن⁽¹⁵⁴⁾، وأكبر ما يخيف البريطانيين هو الخليفة العثماني الذي يستطيع أن يعلن الجهاد وتحويل الحجاز إلى مركز لبث الدعاية المهيجة لإثارة المسلمين داخل وخارج الجزيرة العربية، عليه فإن منطقة البحر الأحمر والجزيرة العربية كانت مسرحاً للمنافسة في المجالين الحربي والدبلوماسي والديني أثناء الحرب العالمية الأولى مما جعل كل من البريطانيين والعثمانيين يستميتان من أجل كسب ود الزعماء المحليين⁽¹⁵⁵⁾.

لا بد من ملاحظة أن النفوذ العثماني في الجزيرة العربية كان يمتد على مساحات واسعة، في حين أن بريطانيا اهتمت بالمواقع الاستراتيجية بغض النظر عن اتساعها، ولهذا يمكن القول بأن الجزيرة العربية كانت خاضعة للنفوذ العثماني أساساً، في حين كان النفوذ البريطاني لا يمثل إلا منافساً زاحفاً يحتل نقاطاً معينة لحماية خطوط مواصلات الامبراطورية البريطانية⁽¹⁵⁶⁾. غير أن النفوذ الفعلي للعثمانيين في الجزيرة العربية كان ضعيفاً بوجه عام⁽¹⁵⁷⁾، ومع ذلك فقد توزعت الحاميات العثمانية في أربعة فرق موزعة بين الحجاز وعسير واليمن، أي على طول الساحل الشرقي للبحر الأحمر، وأيضاً كان يعتمد العثمانيون على تأييد الشريف حسين لتجديد البدو للقتال إلى جانبهم، أما بالنسبة للنفوذ الإدريسي في عسير فلم يكن له قيمة عسكرية في مطلع الحرب العالمية الأولى إلا في نطاق حدوده المحلية. أما الإمام يحيى في اليمن فقد أعلن حياده إلا أنه مع ذلك كان يخشاه البريطانيون، وربما شكوا في دعمه للعثمانيين للهجوم على عدن⁽¹⁵⁸⁾، أما موقف ابن الرشيد في شمر فقد كان مؤيداً للأتراك⁽¹⁵⁹⁾، أما ابن سعود في نجد فلم يكن موقفه واضحاً بدقة حتي إعلان الحرب العالمية الأولى⁽¹⁶⁰⁾.

بعد أن أعلنت الحرب بين الدولة العثمانية وبريطانيا بدأ العثمانيون في رسم خططهم بالتعاون مع حلفائهم الألمان على النحو الآتي:

أولاً: إعلان الجهاد:

أصدر شيخ الإسلام في استانبول في 17 نوفمبر 1914م فتوى أعلن فيها أن الواجب المفروض على جميع المسلمين خاصة الخاضعين لحكم بريطانيا وفرنسا وروسيا هو الجهاد ضد هذه الدول أعداء الإسلام ورفض مساعدة الحلفاء في هجومهم على الدولة العثمانية، كما أرسلت الدولة مبعوثين من قبلها إلى جميع أنحاء العالم الإسلامي⁽¹⁶¹⁾، من أجل حرض المسلمين على الجهاد⁽¹⁶²⁾، وكان هدف العثمانيون أن يتأثر العالم العربي بدعوة الجهاد فينحاز أمير مكة والعرب مختارين إلى صفوفهم ضد الحلفاء⁽¹⁶³⁾، ونشر في صحف بلاد الشام بلاغاً عن الاحتفال بإخراج راية الرسول صلى الله عليه وسلم ونقلها إلى دمشق لمباركة الجيش الزاحف إلى مصر⁽¹⁶⁴⁾. أيضاً أصدر والي صنعاء منشوراً لأهالي اليمن أوضح فيه أن بريطانيا وفرنسا وروسيا قد اتفقت على تقسيم بلاد الإسلام وأن اليمن ستكون من نصيب الإنجليز⁽¹⁶⁵⁾.

وهكذا فإن إعلان الجهاد وبث شعور الرابطة الإسلامية لتلبية نداء الخليفة العثماني وهي اللبنة الأولى وحجر الزاوية في سياسة الدولة العثمانية في مطلع الحرب العالمية الأولى.

ثانياً: استكمال الاستعدادات لغزو مصر وإغلاق القناة⁽¹⁶⁶⁾:

يشير الجنرال علي فؤاد⁽¹⁶⁷⁾ أحد الأعضاء البارزين في الحملة العثمانية لغزو القناة إلى أن أساس الفكرة تم بإيحاء من المعسكر الألماني بهدف فتح مصر وبالعقد إعاقه الجيوش البريطانية التي تنقل عبر القناة من آسيا إلى الساحات الأوربية⁽¹⁶⁸⁾.

في المقابل كانت السلطات البريطانية في مصر ترصد هذه التطورات وترسل التقارير المفصلة عن هذه التحركات، حيث أفادت بعض هذه التقارير عن تجمع قوات عثمانية كبيرة في جدة لتعبر إلى القناة⁽¹⁶⁹⁾، أيضاً بدأت السلطات العثمانية في اليمن، بعض التحركات العسكرية في الحديدة، وعززت القوات العثمانية على طول خط السواحل اليمنية، ووصل إلى اليمن خلال هذه الفترة بعض ضباط أركان الحرب وقاموا بالطواف على الحدود مع بعض المشايخ، ومن ناحية أخرى أرسل أنور باشا تعليمات مشددة بضرورة إغلاق راحة البريطانيين في عدن حتى يتم منع الإمدادات القادمة من الهند إلى مصر الأمر الذي يمكن أن يساهم في نجاح حملة أحمد جمال باشا إلى مصر⁽¹⁷⁰⁾.

ويؤيد هذا ما ورد في بعض التقارير البريطانية عن إرسال العثمانيين لعدة آلاف من عرب إقليم تعز إلى حدود عدن⁽¹⁷¹⁾.

على العموم احتوت الخطط العثمانية على قدر كبير من الدقة والخطورة لأنها هدفت أساساً إلى ضرب بريطانيا في أهم نقاط تمركزها على البحر الأحمر وهي مصر والقناة عند المدخل الشمالي، وعدن عند المدخل الجنوبي للبحر الأحمر.

ثالثاً: تنفيذ بعض الإجراءات العسكرية في البحر الأحمر:

قام وزير البحرية العثماني بوضع موانئ البحر الأحمر تحت إشراف قنصلان البحر الأحمر حتى تسهل عملية مراقبتها، أيضاً تعهد العثمانيون بإنشاء خط حديدي بين الحديد والمخا وصنعاء بموافقة الإمام يحيى، وبدأ العثمانيون في حصار موانئ الإدريسي «جيزان وحائل» بهدف الضغط على الإدريسي⁽¹⁷²⁾. الجدير بالذكر أن الخطط العثمانية في البحر الأحمر أعدت قبل شهور من بداية الحرب الأمر الذي يشير إلى أن السلطات العثمانية أخذت فترة كافية نسبياً في التعبئة والاستعداد قبل إعلان انضمامها إلى ألمانيا.

رابعاً: الاتصال بالعرب:

أدركت الدولة العثمانية أهمية دور العرب لتحقيق الانتصار في الحرب خاصة، ولذا قبل بداية الحرب الفعلية بقليل بذلوا جهودهم للحصول على دعم العرب ضد بريطانيا وحلفائها، ولهذا أرسلوا برسلكهم إلى مختلف أرجاء الجزيرة العربية يحملون الهدايا والعبارات المعسولة إلى أمراء العرب وزعمائهم، وأثمرت محاولاتهم مع ابن الرشيد إلا أنهم لم ينتفعوا كثيراً من الإمام يحيى الذي أعلن حياده، كما يئس الأتراك من الإدريسي قبل نشوب الحرب⁽¹⁷³⁾، أيضاً لم يخرج رسل الأتراك من ابن سعود بجديد لأنه تعلل بعدم إعطائهم وعداً قاطعاً لخوفه من أن يشن البريطانيون هجوماً على سواحله في الخليج العربي وكان هذا الرد مجرد مراوغة منه لأن هواه كان مع بريطانيا⁽¹⁷⁴⁾.

كان يأمل الأتراك في أن ينضم إليهم الشريف حسين غير أن علاقته بالأتراك كانت تتحدد برغبته الشخصية في الاستقلال⁽¹⁷⁵⁾، ربما نقطة الضعف الرئيسية في محاولة الدولة العثمانية لاستقطاب العرب هي أن العلاقة بين الطرفين شابها الكثير، ورأى بعض العرب أن بريطانيا أكثر عدلاً وصلاً من الأتراك المسلمين⁽¹⁷⁶⁾، الأمر الذي ساهم في فتور استجابة العرب للانضمام للدولة العثمانية. أما مصر فقد اتصل العثمانيون بفريد⁽¹⁷⁷⁾ بك رئيس الحزب الوطني المصري وتناقشوا معه حول خطة غزو الأراضي المصرية.

سياسة بريطانيا في المنطقة بعد إعلان الحرب:

بمجرد إعلان الحرب بين الدولتين عملت بريطانيا على مناهضة وإبطال مفعول مجهودات العثمانيين في المنطقة، ومحاولة تحقيق الانتصار بمساعدة ومعاونة العرب وفقاً للإجراءات الآتية:

أولاً: محاولة كسب الجمهور الإسلامي أو على الأقل عدم إثارة المسلمين، لذلك قامت حكومة الهند بتكليف من لندن بنشر إعلان عام بأن القوات البريطانية لن تهاجم الأماكن المقدسة في الجزيرة العربية⁽¹⁷⁸⁾. أيضاً تعهدت بريطانيا بعدم إعاقة وصول المواد الغذائية إلى الأماكن المقدسة⁽¹⁷⁹⁾.

اجتهدت بريطانيا في إقناع العرب والمسلمين ببطلان إدعاءات تركيا عن الإسلام وأصدرت بياناً مطولاً تحدثت فيه عن علمانية الحزب الاتحادي، وعن ممارساته التي لا تمت للإسلام بصلة، كما تحدثت عن تعاطفها مع المسلمين وعن بناء المساجد والمدارس والخلوي⁽¹⁸⁰⁾، كذلك تحدثت عن صداقتها الدائمة للعرب وسعيها للوقوف معهم حتى تتحقق أمانهم. لم تكتف بريطانيا بذلك بل شنت حملة دعائية مضادة ضد الألمان حلفاء تركيا ونشرت وثائق ألمانية تبين مقاومة الألمان لنشر الدين الإسلامي في إفريقيا الشرقية⁽¹⁸¹⁾.

على الرغم من أن بريطانيا لم تكن صادقة تماماً في كل ما ذهبت إليه من أقوال وأفعال، لكن مع ذلك صادفت حملتها ضد الألمان والعثمانيين نجاحاً كبيراً عندما توالى رسائل التأييد لبريطانيا من الشيوخ والزعماء⁽¹⁸²⁾، الأمر الذي يوضح نجاح بريطانيا في إحباط الحملة المشتركة لتركيا وألمانيا.

ثانياً: الاتصال بالعرب:

سبق لبريطانيا أن تلقت اتصالات من بعض المصادر العربية إلا أنها حرصت على عدم البت فيها إلا مع بداية الحرب، ففي 24 أغسطس 1914م أرسل تشيتمام برقيه إلى لندن بشأن نشاطات عزيز علي المصري في القاهرة إلا أن السلطات البريطانية أمرت بتجميد نشاطاته مؤقتاً، وعلى كل كان يسعى عزيز المصري إلى معرفة موقف الحكومة البريطانية في حال طالب العرب بدولة مستقلة عن الدولة العثمانية⁽¹⁸³⁾. أيضاً في 31 أكتوبر 1914م أرسل وزير الدولة البريطاني إلى نائب الملك في الهند يخبره بأن قادة الرابطة العربية Pan-Arab في القاهرة أرسلوا مبعوثيهم إلى مختلف الأقاليم العربية، وسيقوم هؤلاء بزيارة المقيم البريطاني في الكويت للتباحث معه، واقترح تشيتمام على وزير خارجية بلاده أن تقوم بريطانيا بإمداد القيادات العربية بالسلاح والمال⁽¹⁸⁴⁾.

وعندما أعلنت الحرب العالمية صدرت التعليمات للسلطات البريطانية بمصر في 14 نوفمبر 1914م بتشجيع الحركة العربية بأي طريقة ممكنة وتقديم الضمانات اللازمة لها، لأن دعم هذه الحركة يعتبر نقطة ارتكاز أساسية في سياسة بريطانيا بالمنطقة خلال هذه الفترة⁽¹⁸⁵⁾.

استمرت الجهود البريطانية في المنطقة العربية من خلال الاتصال بزعماء المنطقة ومحاولة كسبهم إلى جانبها، لذلك اتصلت في المرحلة التالية بكل من الإدريسي وابن سعود والشريف حسين على التوالي⁽¹⁸⁶⁾.

كان محمد الإدريسي أول من لبي دعوة البريطانيين فحالفهم في 30 إبريل 1915م⁽¹⁸⁷⁾، ثم تلاه في ذلك ابن سعود الذي عقد معهم معاهدة في ديسمبر 1915م، أما الشريف حسين فقد كان ثالث الأمراء العرب الذين تحالفوا مع البريطانيين من خلال المحادثات والمراسلات المعروفة في التاريخ بمحادثات «الشريف حسين-مكماهون» والتي انتهت بموافقته على إعلان الثورة العربية ضد الأتراك وهو ما حدث بالفعل في يناير 1916م⁽¹⁸⁸⁾.

كان تحالف البريطانيين مع الشريف حسين الأكثر فعالية، وذلك نظراً لما يتمتع به المذكور من مكانة مرموقة بين العرب الذين اعتبروه زعيماً للنضال العربي ضد الاستبداد العثماني⁽¹⁸⁹⁾.

بالعودة إلى النقطة الجوهرية في علاقات بريطانيا المتناقضة مع حلفائها العرب يمكن القول: أن بريطانيا استفادت من الأوضاع التي كانت ماثلة أمام كل من الشريف حسين وابن سعود، فالأول: كان يسعى لتكوين دولة مستقلة عن الأتراك ويحتاج إلى من يساعده في تحقيق هدفه، والثاني كان يسعى إلى تثبيت ملكه وسط مجموعة من الأعداء والمنافسين، كما كان يخشى كذلك من مخاطر الحرب العالمية على مستقبل إمارته الناشئة لذلك وافق على معاهدة بريطانيا التي كانت تسيطر على منافذه البحرية.

مهما يكن من أمر فإن بريطانيا قد ضمنت جانب كل من الشريف حسين وابن سعود وجعلت من نفسها قاسماً مشتركاً بينهما، ولكن كان عليها أن تجد حلاً لما وقعت فيه من تناقض خاصة بعد اعتراف البريطانيين بالشريف حسين ملكاً على الحجاز في وقت كان يصر فيه الشريف حسين بأنه ملك لكل العرب⁽¹⁹⁰⁾.

أدركت بريطانيا ضرورة أن تجعل من نفسها حافظاً للتوازن بين القوتين لأن مصالحها تقتضي ذلك، فهي لا تؤيد عبد العزيز بن سعود في حربه ضد الشريف حسين زعيم الثورة العربية التي ستعمل على تصفية الوجود التركي في الجزيرة العربية، وتريد لعبد العزيز بن سعود بأن يوجه قوته لابن الرشيد حليف الأتراك في المنطقة، وبالتالي يصبح كل منهما في خدمة بريطانيا التي تسعى للانتصار في الحرب وبعدها ستتركهما لتصفية حساباتهما العالقة.

ثالثاً: حماية مصر وقناة السويس والمناطق المهمة:

تمثل قناة السويس المجال الحيوي لحماية طريق مواصلات بريطانيا إلى الهند وتثبيت مركز بريطانيا في مصر لذلك رأى تشييتهم ضرورة تحصين القناة بجلب قوات بريطانية من مالطة والهند لصد أي هجوم عثماني محتمل⁽¹⁹¹⁾، أيضاً قامت السلطات البريطانية بوضع استراتيجية دفاعية

معقدة لحماية بورتسودان وسواكن من أي هجوم محتمل يمكن أن تشنه قوات الوسط. هذا إلى جانب السيطرة على فنارات البحر الأحمر. أيضاً عينت السلطات البريطانية الجنرال جون ماكسويل⁽¹⁹²⁾ كي يقوم بكل الاحتياطات والخطط الدفاعية اللازمة لحماية قناة السويس من أي هجوم بري أو بحري، أو محاولة تخريب أي جزء من القناة، وقامت السلطات العسكرية البريطانية في مصر بسحب الرعايا البريطانيين من شبه جزيرة سيناء إلى الداخل بعد أن قامت بردم كل آبار المياه في المنطقة⁽¹⁹³⁾.

الجدير بالذكر أن هذه الإجراءات والاحتياطات البريطانية اتخذت وفقاً لمعلومات صحيحة جمعتها الاستخبارات البريطانية عن الدولة العثمانية التي تسعى لضرب بريطانيا في مقتل من خلال محاولة الاستيلاء على مصر وقناة السويس التي تمثل شرياناً حيوياً للحلفاء بشكل عام ولبريطانيا على وجه التحديد.

رابعاً: تحديد نوعية العمليات الحربية ضد العثمانيين في البحر الأحمر:

بعد مناقشات مطولة بين رجال البحرية البريطانية والخارجية البريطانية تم الاتفاق على حصر نطاق العمليات على محاصرة البحر الأحمر ومنع إمداد الحاميات العثمانية عبره⁽¹⁹⁴⁾، ورأت السلطات العسكرية البريطانية ضرورة السيطرة على جزر فرسان ذات الموقع الحيوي دون مناقشة الإدريسي الذي تتبع له هذه الجزر. أيضاً تم الاتفاق بين السلطات البريطانية على تكوين دوريتين بريطانيتين في البحر الأحمر، الأولى من جده إلى السويس، والثانية من جدة إلى عدن لتقوم بالمهام الآتية:

1. إيقاف الإمدادات للحاميات والموانئ العثمانية كالحديدة والمخا والliche.
 2. منع الدولة العثمانية من زرع الألغام في البحر الأحمر.
 3. إيقاف إرسال مبعوثين لمصر أو السودان.
 4. تأمين الاتصال البريطاني بأمرأء ومشايخ العرب من الجزيرة العربية.
 5. تم السماح عند الضرورة بتوجيه بعض العمليات ضد القوات العثمانية في البحر واعتبار جدة وينبع مدناً خارجة عن نطاق الأماكن المقدسة، وهذا يخالف تعهد سابق لبريطانيا بعدم الاعتداء على جدة باعتبارها تتبع للأراضي المقدسة⁽¹⁹⁵⁾.
- خامساً: رصد تحركات ألمانيا ومنع تعاونها مع الدولة العثمانية، ونلاحظ أن هنالك العديد من الوثائق التي تناولت هذه الناحية لأن بريطانيا كانت تدرك جيداً مدى خطورة الأطماع الألمانية على بريطانيا وحلفائها في المنطقة⁽¹⁹⁶⁾.

إذا توقفنا عند الإجراءات والسياسات التي اتبعتها كل من بريطانيا والدولة العثمانية بالمنطقة بعد إعلان الحرب بينهما، نلاحظ أن هناك الكثير من التشابه على الأقل في شكل الإجراءات المتبعة خلال الفترة المذكورة، لكن

اختلفت نتائج النجاح التي مالت لصالح بريطانيا التي أفلحت في إجهاد محاولات العثمانيين لتقوية نفوذهم، وربما تفوقت بريطانيا على الدولة العثمانية في بعض النقاط، فعلى سبيل المثال اعتمدت بريطانيا على تقوية نفوذها على أسطول قوي واقتصاد كبير، وكثير من الذكاء والخبث، في وقت كانت تعاني فيه الدولة العثمانية من مشاكل الشيخوخة، كما أنها فقدت الكثير من رعاياها خاصة العرب، أيضاً اعتمدت بريطانيا في إصدار قراراتها على التشاور وإبداء الرأي بين جميع الذين يعينهم الأمر، بينما اعتمدت الدولة العثمانية على مركزية السلطة التي انحصرت في عدد محدود من الأفراد، لذلك كانت كثير من قراراتهم غير صائبة الأمر الذي ساهم بقدر كبير من الفشل والإخفاق الذي لازم الدولة العثمانية خلال هذه الفترة.

المعارك العسكرية بين البريطانيين والعثمانيين في منطقة البحر الأحمر: أولاً: العمليات الحربية في شمال وجنوب اليمن:

أمرت بريطانيا الإديسي بمهاجمة ميناء اللحية والاستيلاء عليه بمساعدة الأسطول البريطاني من البحر، رد العثمانيون بمهاجمة قوات الإديسي في دير حسين وانتصروا عليهم لكنهم لم يتمكنوا من استعادة ميناء اللحية إلا أنهم مع ذلك حققوا عدداً من الانتصارات على قوات الإديسي التي كانت بعيدة نسبياً عن البحر الأحمر⁽¹⁹⁷⁾، لكن مع ذلك تراجعت الأعمال الحربية في شمال اليمن بين العثمانيين والإديسي، واستمرت بريطانيا في إمداد الإديسي بالمساعدات التي حددتها معاهدة 30 إبريل 1915م⁽¹⁹⁸⁾. أيضاً عقدت بريطانيا مع الإديسي معاهدة ثانية في 22 يناير 1917م اعترفت فيها بريطانيا باستقلال الإديسي في جميع ممتلكاته بما في ذلك جزيرة فرسان⁽¹⁹⁹⁾.

ثانياً: العمليات الحربية في جنوب اليمن:

سبق بأن قامت بريطانيا بفرض حصار بحري على السواحل اليمنية وسواحل الحجاز بغرض شل القوات العثمانية هناك ومنعها من المساهمة في حرب الحلفاء بالياديين الأخرى، وعلاوة على ذلك كان لاتفاقية بريطانيا مع ابن سعود، دور في تشديد الحصار على العثمانيين في الحجاز واليمن، ثم اكتملت دائرة الحصار بإشتعال الثورة العربية بقيادة الشريف حسين، وبذلك تم قطع الطريق الصحراوي الوحيد الذي كان يربط بين الحجاز واليمن، ولذلك اتجه العثمانيون بكامل استعداداتهم لمهاجمة لحج ومحاولة غزو عدن بهدف ضرب البريطانيين في المناطق البرية البعيدة عن الساحل حيث تضعف نسبياً جيوشهم. كان الهدف من هذه العملية هو فك الحصار عن اليمن، وأهم من ذلك محاولة احتلال عدن وجزيرة بريم وكلتيهما تشرفان على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، ويعتبر

هذا الهجوم جزءاً من خطة الوسط التي تهدف إلى مهاجمة البريطانيين في مصر والاستيلاء على قناة السويس وقطع الشريان الحيوي في خطوط مواصلاتها الامبراطورية إلى الهند والشرق عبر البحر الأحمر⁽²⁰⁰⁾.

على الرغم من صعوبة تنفيذ ونجاح الخطة العثمانية للاستيلاء على عدن المحصنة، لكن كان في الإمكان أن يشغل العثمانيون البريطانيين بالدفاع عن عدن عن إرسال قواتهم إلى مصر وقناة السويس وهو نفس الأسلوب الذي اتبعته بريطانيا مع العثمانيين في الجزيرة العربية مع اختلاف نسب النجاح لصالح بريطانيا مقارنة مع نجاح الدولة العثمانية في جنوب الجزيرة العربية. أدركت بريطانيا من جانبها خطورة مهاجمة العثمانيين لعدن والمحميات التسع، لذلك عملت على إرهابهم لإيقاف زحفهم على عدن، وأمرت قواتها في 10 نوفمبر 1914م بضرب منطقة الشيخ سعيد⁽²⁰¹⁾، وتدمير الآبار والحصون والمستودعات العثمانية فيها، غير أن العثمانيين عاودوا زحفهم واحتلوا الشيخ سعيد وتوجهت قواتهم إلى لحج واحتلوها دون مقاومة تذكر، كان سلطان لحج وبعض أفراد عائلته من ضمن الضحايا وتركت بريطانيا سلطان لحج وبلاده يقعان فريسة في أيدي العثمانيين رغم تعهداتها بحمايته من أي عدوان⁽²⁰²⁾، ونتيجة لذلك فقدت بريطانيا الآلاف من حلفائها من قبائل الحواشب، واليوافع، والصبيحة، الذين انضموا للعثمانيين طوعاً وكرهاً حتى يتفادوا المصير الذي آلت إليه سلطنة لحج وسلطانها بسبب عدم وفاء بريطانيا بتعهداتها لهم بحمايتهم.

تحصل العثمانيون وحلفاؤهم من رجال القبائل اليمنية على الكثير من الغنائم والأسلاب، كما ساهمت لحج بما تملك من موارد في تخفيف الحصار البريطاني على الحاميات التركية في اليمن.

لكن مع ذلك تمكن البريطانيون من استرجاع الشيخ عثمان في 21 إبريل 1915م بعد أن وصلت إلى عدن نجده عسكرية بريطانية من مصر وأخرى فرنسية من مدغشقر، ويوضح هذا أهمية عدن بالنسبة لبريطانيا وحلفائها في الحرب العالمية الأولى⁽²⁰³⁾.

كان استرجاع الشيخ سعيد آخر العمليات الحربية المهمة بين البريطانيين والعثمانيين عدا المناوشات بين الحين والآخر وقد استمرت الأوضاع على هذا النحو في جنوب اليمن بأكمله حتى إعلان الهدنة العامة في عام 1918م⁽²⁰⁴⁾.

ثالثاً: المشروع العثماني لفتح مصر وقناة السويس:

الهجوم العثماني على مصر والقناة كان أحد الخطط الرئيسية في استراتيجية الدولة العثمانية وحليفها ألمانيا الأمر الذي حتم على بريطانيا سحب رعاياها من سيناء إلى داخل مصر التي اتخذتها قاعدة عسكرية لتجميع

القوات البرية والبحرية، واستخدمت بريطانيا كل موانئ مصر الشمالية والشرقية كقواعد لتجميع بحري كبير بقصد تطهير البحرين المتوسط والأحمر من سفن ألمانيا وتركيا، وتجمعت للحلفاء في مصر⁽²⁰⁵⁾، جيوش من خمسة وعشرين بلداً في فترة الحرب وهو أكبر تجمع متعدد في تاريخ مصر، ومثلت هذه القوات عبئاً ثقيلاً على مجتمع واقتصاد مصر التي أجبرتها بريطانيا على وضع كل مواردها البشرية الطبيعية والاقتصادية في خدمة الحلفاء الذين سخروا مليون عامل مصري في خدمتهم ومات الكثير منهم بسبب المعارك⁽²⁰⁶⁾، كما أنها وضعت الجيش المصري نفسه في الصفوف الأولى للدفاع عن مصر وقناة السويس⁽²⁰⁷⁾. اهتمت المخابرات البريطانية بتوفير المعلومات الكافية عن الحملة العثمانية التي تولى جمال باشا وزير البحرية قيادتها إلى جانب عدد آخر من الضباط العثمانيين والألمان، وذكرت بعض التقارير البريطانية أن الخديوي عباس حلمي الثاني «المخلوع» قد اشترك في هذه الحملة إلا أن هذه التقارير لم تكن دقيقة⁽²⁰⁸⁾.

تجمع عدد كبير من القوات في سوريا من شتى ولايات الدولة العثمانية⁽²⁰⁹⁾، ووضع الضباط الأتراك والألمان الخطط العسكرية المفصلة لعملية الهجوم ونقل الجنود والسلاح وتحديد طرق المواصلات، وكان من ضمن الخطة الاتصال بالسفوسيين في برقة غرب مصر ليقوموا بالهجوم على مصر من الغرب بالتزامن مع الهجوم الرئيس للقوات العثمانية من الشرق⁽²¹⁰⁾، في محاولة لخلق أكبر قدر من الإرباك لقوات الحلفاء المدافعة عن مصر والقناة في نفس الوقت تتم إثارة رعايا السلطان في مصر⁽²¹¹⁾.

راقبت بريطانيا التحركات العثمانية عن كثب، ونجحت في جمع حوالي سبعين ألف جندي من البريطانيين والحلفاء والرعايا، إلى جانب حوالي عشرين ألف جندي من القوات المصرية والسودانية⁽²¹²⁾، وكانت طائراتها تقوم بعمليات الاستطلاع اللازمة لاستكشافات ورصد تحركات الجيش المهاجم⁽²¹³⁾، يضاف إلى ذلك حفر الخنادق على طول جبهة الضفة الغربية للقناة، فضلاً عن تمركز عدد من السفن البريطانية والفرنسية في النقاط المهمة للقناة⁽²¹⁴⁾، وهذا يعني أن البريطانيين اختاروا خطة الدفاع السلبي بمعنى التحصن حول القناة دون القيام بالدفاع الإيجابي الذي يعني التقدم لمواجهة القوات المهاجمة في سيناء خارج القناة⁽²¹⁵⁾.

بحلول 15 يناير 1915م عزز الأتراك قواتهم في سيناء والعريش والقسيمة، وفي أول فبراير بدأ الأتراك هجومهم الرئيس بين بحيرة التمساح والبحيرات المرة، وبلغ عدد القوات المهاجمة حوالي خمسة عشر ألف جندي بمساندة مختلف

الأسلحة، وتصدت لهم القوات المصرية والبريطانية والفرنسية المدافعة عن القناة واستمرت الاشتباكات دون نصر حاسم لأحد الطرفين حتى انسحاب الأتراك شرقاً إلى عمق سيناء، الأمر⁽²¹⁶⁾ الذي يشير إلى إخفاقهم في تحقيق الهدف الرئيس من هذا الهجوم وتعود أسباب الإخفاق إلى العوامل الآتية:

- أن قيادة الجيش العثماني كانت تدرك قوة الاستحكامات الانجليزية على القناة الأمر الذي أدخل الشك إلى نفوسهم بصعوبة الانتصار.
- تأخر عملية العبور عن الوقت المحدد.
- كان الجيش العثماني منهكاً بسبب قطعه لمسافة طويلة في صحراء جرداء قاحلة.
- كان لطائرات الاستكشاف دور مميز في نقل وكشف كل تحركات العثمانيين، كما أن هجوم السنوسي لم يتزامن مع الهجوم العثماني.
- فارق التسليح كان لصالح البريطانيين.

بعد إخفاق العثمانيين الأول لم يهدأ لهم بال وأخذوا في الإعداد لهجوم ثانٍ على مصر والقناة وحاولوا بقدر الإمكان الاستفادة من الأخطاء وأوجه القصور في الخطة الأولى، كما أن الألمان والنمساويين أمدوا العثمانيين بطائرات الاستطلاع إلى جانب بطاريات ميدان لتكون عاملاً مساعداً للعثمانيين في الهجوم الثاني الذي تولى قيادته الضابط الألماني فون فوكس Phone Fox⁽²¹⁷⁾. أما بريطانيا فقد عينت ارشيبالد موراي⁽²¹⁸⁾، Archibald Murray قائداً عاماً لقوات الحلفاء المدافعة عن مصر والقناة، وشرع موراي في تغيير خطط الدفاع السلبي إلى الإيجابي، بمعنى تأسيس الدفاعات عن القناة في داخل سيناء بدلاً عن الدفاع من داخل القناة، إلى جانب ذلك عملت بريطانيا على إعاقة العثمانيين من خلال تحريك رعاياهم العرب للثورة ضدهم⁽²¹⁹⁾.

بدأ العثمانيون هجومهم الثاني في 24 يوليو 1916م ولكن كان لدفاعات الانجليز خارج القناة دور حاسم في إحباط الهجوم العثماني على الرغم من نجاح القائد الألماني كريس في الانسحاب إلى العريش، ولكن لم يتحقق لدول الوسط الأمل الكبير بإغلاق القناة والسيطرة على وادي النيل بعد القضاء على الوجود البريطاني هناك⁽²²⁰⁾، ويُرجع جمال باشا سبب الإخفاق الثاني إلى تمركز البريطانيين في سيناء بدلاً عن القناة، إلى جانب قيام الثورة العربية التي كانت ضربة قاضية لحملة العثمانيين، هذا فضلاً عن هجوم الروس على أرضروم في آسيا الصغرى في فبراير 1916م والذي أدى إلى تشتيت جهود الأتراك بين الدفاع والهجوم⁽²²¹⁾.

نخلص إلى أن النجاح البريطاني في الدفاع عن القناة يعود بالدرجة الأولى إلى الأهمية القصوى للقناة بالنسبة لهم، لذلك وفروا كل الإمكانيات المتاحة

للدفاع عنها إلى جانب وضع الخطط الدقيقة والمدروسة التي كان لها دور في النجاح. أما العثمانيون فقد كانت تنقصهم المعلومات الضرورية لوضع خطه كاملة، فضلاً عن محدودية إمكانياتهم العسكرية إلى جانب قيام الثورة العربية التي كانت هي الأخرى مخططاً بريطانياً ناجحاً لإعاقة الخطط العثمانية. بعد ذلك تحول موقف العثمانيين من الهجوم إلى الدفاع⁽²²²⁾.

يمكن القول بأن فشل العثمانيين في الاستيلاء على قناة السويس في ظل المشكلات التي تزامنت مع الحملة الثانية تمثل نقطة تحول كبرى في مصير المعارك التي انتهت جميعها لصالح بريطانيا وحلفائها وفي نفس الوقت كانت مقدمة لخروج العثمانيين من كل المنطقة العربية.

رابعاً: الثورة العربية:

تمثل الثورة العربية عشية قيامها نقطة تحول مهمة في الصراع حول البحر الأحمر، وعول البريطانيون كثيراً على دور العرب في هذه الحرب مستغلين طموحهم في الاستقلال عن الدولة العثمانية⁽²²³⁾، لذلك عملت بريطانيا جاهدة على استمالة العرب إلى صفها وتقويض مساعي تركيا لنفس الغرض، ونجحت بريطانيا في التوصل إلى معاهدات مع كثير من الزعماء العرب، كما توصلت إلى اتفاق غير مكتوب مع الشريف حسين الذي وافق على القيام بالثورة مقابل الاعتراف به ملكاً على العرب وتكوين دولة مستقلة متضمنة الولايات العربية التي سيتم تحريرها من العثمانيين، وقامت بريطانيا بتوفير كل ما يحتاجه الشريف حسين من أموال وسلاح ومواد تموينية تم ترحيلها من مصر والسودان عبر البحر الأحمر⁽²²⁴⁾، ومع اكتمال الاستعدادات من الجانبين أخذت بريطانيا تتحين الفرصة المناسبة لتحريك الشريف حسين، وعندما أخفقت بريطانيا في حملة الدردنيل التي تلاها هجوم العثمانيين الأول على القناة، خشيت بريطانيا على مستقبلها في مصر⁽²²⁵⁾، وحتى تخرج من هذا المأزق حركت الشريف حسين للقيام بالثورة قبيل الهجوم العثماني الثاني على القناة، وكانت بريطانيا تأمل أن تؤدي ثورة الحجاز إلى إجبار الدولة العثمانية على حجز جزء من قواتها العسكرية في البلاد العربية بعيداً عن جبهات القتال الرئيسية، إلى جانب عزل القوات التركية في الشام عن القوات الموجودة في اليمن وعسير، فضلاً عن الحيلولة دون تهديد ألمانيا لعدن، يضاف إلى ذلك إفساد دعاية الجهاد التركية بانضمام منطقة الحجاز إلى دول الوفاق⁽²²⁶⁾.

أعلن الشريف حسين الثورة على الدولة العثمانية في 5 يونيو 1916م في معسكر خارج المدينة المنورة، ثم أعلنت في مكة المكرمة في العاشر من يونيو 1916م⁽²²⁷⁾، وعزز حركته بمنشور أذاعه على الشعب العربي اتهم

فيه الاتحاديين بالخروج على الشريعة الإسلامية، أعقب ذلك إعلان الثورة في باقي مدن الحجاز: كالتائف، وجدة، التي كان توجد بالقرب منها قطع من الأسطول البريطاني لمساندة العرب⁽²²⁸⁾.

بعد إعلان الثورة أصبح من السهل على البريطانيين إرسال الأسلحة والمواد التموينية للعرب الذين نجحوا في تحقيق الانتصار على القوات العثمانية بالتائف في 10 أغسطس 1916م، كما قاموا بقطع الخط الحديدي بين دمشق والمدينة المنورة وأصبح من الصعب على العثمانيين إرسال أي إمدادات إلى جيوشهم المحاصرة في الحجاز⁽²²⁹⁾.

واستطاعت القوات العربية الثائرة في أقل من ثلاثة أشهر الاستيلاء على جميع مدن الحجاز الكبرى باستثناء المدينة المنورة التي حاصرتها قوات الشريف حسين وقطعت إمدادات المياه عن قوات العثمانيين لفترة من الوقت قبل أن تتراجع عن هذا القرار وتعيد فتح المياه مجدداً بحكم الأخوة الدينية وقُدسية المدينة، لكن استمرت قوات الشريف في محاصرة القوات العثمانية بالمدينة المنورة حتى استسلامها في نهاية الحرب العالمية الأولى⁽²³⁰⁾، وبعد هذا النجاح تمت مبايعة الشريف حسين ملكاً للعرب في ديسمبر 1916م، ثم تقدمت قوات الثورة العربية واحتلت ينبع، ثم زحفت شمالاً واحتلت العقبة في 6 مايو 1917م⁽²³¹⁾، قبل أن تتقدم شمالاً لتحارب قوات العثمانيين في منطقة شرق الأردن مقدمة مساعدة قيمة لقوات البريطانيين⁽²³²⁾، التي احتلت القدس في 9 ديسمبر 1917 بقيادة اللورد أللبي، وكان احتلال الثوار العرب لمنطقة شرق عمان قد حمى ميمنة القوات البريطانية في فلسطين من هجمات العثمانيين كما حمى خطوط مواصلاتها الطويلة، ثم تقدمت القوات العربية إلى سوريا وتمكنت من احتلال مدينة تلو الأخرى إلى أن تم طرد العثمانيين من سوريا بعد أربعة قرون من الحكم⁽²³³⁾.

بنظرة عامة لمجمل الأحوال في الجزيرة العربية مع نهاية الحرب العالمية الأولى نلاحظ بقاء الأحوال في جنوب الجزيرة العربية هادئة بين العثمانيين في لحج والبريطانيين في عدن، بينما بقى الإمام يحيى في وسط اليمن متمسكاً بالحياد وإن كان قريباً من الأتراك حيث كان يقرضهم الأموال ويمدهم ببعض ما يحتاجونه من مواد تموينية، أما الإدريسي في عسير بشمال اليمن ظل يتلقى المعونة والمساعدات العسكرية من البريطانيين الذين كان أسطولهم يحاصر سواحل اليمن ويقدم الدعم العسكري للإدريسي ضد العثمانيين⁽²³⁴⁾.

الخلاصة:

- جاءت أهمية البحر الأحمر نتيجة لمجموعة من العوامل المتداخلة بالإضافة إلى مجموعة من الحقائق القديمة والمتغيرات الحديثة، الأمر الذي جعل من البحر الأحمر بؤرة تنافس بين مختلف القوى من أجل السيطرة والاستحواذ عليه، كما أن البحر الأحمر يمثل مفتاح السيطرة والتحكم في حركة الملاحة البحرية والتجارب العسكرية، ومن خلاله يمكن فرض السيطرة على نقاط الاتصال بين مختلف الدول العربية، والإفريقية، والآسيوية التي تشاطئ البحر الأحمر.
- كانت البرتغال الدولة الأوروبية الأولى في العصر الحديث التي قامت باحتلال قواعد مهمة عند المدخل الجنوبي للبحر الأحمر الأمر الذي استدعى الدولة العثمانية للتحرك من أجل التصدي للخطر البرتغالي ومنعهم من التقدم داخل البحر الأحمر، وقام العثمانيون بالعديد من الخطوات والإجراءات التي مكنتهم من إبعاد الخطر البرتغالي عن المنطقة.
- على الرغم من أن الدولة العثمانية قد بذلت جهداً كبيراً للحفاظ على البحر الأحمر بحيرة عثمانية، إلا أن بريطانيا التي كانت تحتل الهند مثلت تهديداً مباشراً للدولة العثمانية عندما احتلت عدن في عام 1839م واتخذتها محطة في طريق مواصلاتها إلى الهند، كما أنها نجحت في وضع يدها على كثير من المواقع والجزر ذات المواقع الاستراتيجية المهمة، بغرض التحكم والسيطرة على الملاحة في جنوب البحر الأحمر، والمحافظة على طريق مواصلاتها إلى الهند مفتوحاً وآمناً. وانتهجت بريطانيا وسائل مختلفة: سياسية، ودبلوماسية، وغيرها من أجل تحقيق أطماعها في المنطقة.
- سعت فرنسا لتجد لها موطئ قدم في منطقة جنوب البحر الأحمر، وانتهجت ذات الوسائل التي سبق وأن انتهجتها بريطانيا، وعلى الرغم من نجاحها في عقد عدد من الاتفاقيات مع شيوخ ورؤساء القبائل، إلا أن نجاحها كان محدوداً بسبب بريطانيا التي اجتهدت في إجهاض المساعي الفرنسية بحجة أن المنطقة تتبع للدولة العثمانية، غير أن السبب الحقيقي وراء وقوف بريطانيا ضد فكرة السيطرة الفرنسية على المنطقة لأن ذلك يشكل تهديداً خطيراً لوجودها في عدن ومدخل البحر الأحمر.
- حاولت إيطاليا أن تسلك الطريق نفسه الذي سلكته كل من بريطانيا وفرنسا، ونجحت بمساعدة بريطانيا في الاستيلاء على مصوع وعصب.
- تضاعفت أهمية البحر الأحمر كثيراً بعد حفر قناة السويس وافتتاحها للملاحة الأمر الذي جعل من البحر الأحمر شرياناً للملاحة العالمية، لذلك لم يكن من المستغرب أن تلتقي فيه أطماع الدول الأوروبية. ففرنسا دخلت المعترك ولكنها

لم تحقق نجاحات كبيرة. أما إيطاليا فقد كانت حليفاً لبريطانيا التي ساندتها بغرض تحجيم أطماع فرنسا في المنطقة، لذلك حصلت على إترتيا على الساحل الغربي للبحر الأحمر. أما بريطانيا فقد سبقت غيرها من الدول الأوروبية انطلقت من عدن إلى أماكن أخرى لتضع يدها على مواقع مختلفة تتمتع بذات الأهمية كباب المندب وملحقاته ومصر والسودان وقناة السويس ليصبح البحر الأحمر بحيرة بريطانية.

- لجدير بالذكر أن وسائل وأساليب الدول الأوروبية للسيطرة تفاوتت بين الحروب والغش والخداع للسيطرة على منطقة البحر الأحمر ومدخله مستغلة في كثير من الأحيان جهل وسذاجة الزعماء والشيوخ وافتنقارهم للوعي السياسي، مع العلم أن جميع تلك المعاهدات لم تكن شرعية لأن المنطقة التي تم توزيعها بين هذه الدول كانت ملكاً للدولة العثمانية أو مصر.

- مع إعلان الحرب العالمية الأولى أصبح البحر الأحمر والجزيرة العربية ساحة للصراع العثماني البريطاني وحرصت كل دولة على اتخاذ الخطوات الدبلوماسية والحربية لكسب المعركة، وأصبح العرب يلعبون دوراً محورياً في استراتيجية كل الأطراف.

- من أهم الخطوات التي اتخذتها الدولة العثمانية لكسب المعركة: إعلان الجهاد ودعوة المسلمين للاتحاد ضد من أسمتهم بأعداء الدين وأكدت سعى بريطانيا إلى تدمير الدولة الإسلامية وتقسيمها بين حلفائها. كما بدأت الدولة العثمانية تخطط لضرب بريطانيا في أهم نقاط تمركزها على البحر الأحمر وهي مصر وقناة السويس عند المدخل الشمالي، وعدن عند المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، أيضاً عملت الدولة العثمانية على جذب العرب إلى جانبها لكن كان نجاحها محدوداً.

- أما بريطانيا فقد ارتكزت سياستها على محاولة إجهاض المساعي العثمانية من خلال محاولة كسب الجهود الإسلامية والاتصال بعدد من زعماء العرب وتوقيع اتفاقيات معهم، أيضاً عملت بريطانيا على تأمين وتحصين قناة السويس وعدد من الموانئ المهمة، فضلاً عن تسيير دوريات بحرية بين جدة والسويس وجده وعدن. ومن خلال هذه الإجراءات نجحت بريطانيا إلى حد كبير في إجهاض الاستراتيجية العثمانية لمعركة البحر الأحمر.

- عند اشتعال الحرب العالمية الأولى ركزت بريطانيا على حصار القوات العثمانية في اليمن إلى جانب إمداد الإدريسي بما يحتاجه من مال وعتاد لمحاربة العثمانيين، وبالفعل جرت بعض المعارك المحدودة بينه وبين القوات العثمانية التي ركزت عملياتها جنوباً عندما هاجمت «لحج» واستولت عليها وهددت عدن

بشكل مباشر وتمثل هذه العمليات تطبيق لاستراتيجية المحور لمنع بريطانيا من إرسال أي قوات إلى مصر، لكن لم تتطور العمليات الحربية في جنوب اليمن إلى أكثر من هذا الحد حتى إعلان الهدنة العامة عام 1918 م .

- من أبرز العمليات الحربية التي قامت بها الدولة العثمانية بمعاونة ألمانيا هي الهجوم على قناة السويس في 15 يناير 1910م، وهجوم ثان في 24/ يوليو 1916م وكلاهما لم يكتب له النجاح بسبب الخطط البريطانية المدروسة التي أفشلت المحاولات العثمانية التي كانت تنقصها المعلومات الضرورية لوضع خطه متكاملة إلى جانب محدودية الإمكانيات العسكرية للعثمانيين فضلاً عن اشتعال الثورة العربية التي أعلنها الشريف حسين في الخامس من يوليو 1916م ونجحت الثورة في إخراج العثمانيين من الحجاز والشام، وقدمت خدمة كبيرة للبريطانيين في كل من الجزيرة العربية، والشام، ومنطقة البحر الأحمر وبالتالي أصبحت بريطانيا الرابع الأكبر في منطقة البحر الأحمر حتى نهاية الحرب العالمية الأولى.

المصادر والمراجع:-

- (1) عبد المتعال حمزة حسن محمد صالح، أمن البحر الأحمر وتأثيره على الأمن القومي العربي، رسالة ماجستير، جامعة الزعيم الأزهرى، 2003م، ص 22.
- (2) إبراهيم محمد حسن، البحر الأحمر في الحرب العالمية الأولى -1914-1918م، ط1، القاهرة، 1998م، ص9.
- (3) ولد نابليون بونابرت في أغسطس 1769م بجزيرة كورسيكا، ألحقه والده بمدرسة سان سير العسكرية حيث أظهر تفوقاً لافتاً، تخرج في سنة 1785م وعيّن برتبة ملازم أول في سلاح المدفعية، وساهم في تعزيز حكومة الإدارة، وفي سنة 1798م غزا مصر بغرض ضرب بريطانيا في الهند، وفي سنة 1799م قام بعزل حكومة الإدارة وأنشأ حكومة مؤلفة من ثلاثة قناصل وتقلد هو منصب القنصل الأول ليصبح امبراطوراً بعد خمس سنوات، حيث أصبحت لفرنسا مكانة مرموقة في أوروبا بعد انتصارها في الحروب النابليونية، شكل الغزو الفرنسي لروسيا سنة 1812م نقطة تحول في خطط بونابرت حيث لحقت أضراراً جسيمة بالجيش الفرنسي، وفي سنة 1813م هزمت القوات الفرنسية في معركة الأمم وأجبر نابليون على التنازل عن العرش، وتم نفيه إلى جزيرة ألبا، لكنه هرب من منفاه وحاول مقاومة الحلفاء واستعادة مجده لكن هزم في معركة «واترلو» خلال شهر يونيو 1815م واستسلم نابليون للبريطانيين الذين نفوه إلى جزيرة القديس هيلانة المستعمرة البريطانية حيث أمضى السنوات الست الأخيرة من حياته وتوفى في 5 مايو 1821م، مخلفاً وراءه الكثير من الجدل حول السبب الحقيقي لوفاة، انظر الموسوعة الحرة/ 21 فبراير 2014م.
- (4) محمد سعيد باشا 1822-1863م: الابن الرابع لمحمد علي باشا، تلقى تعليمه في باريس بفرنسا لذلك كان ذا نزعة غربية، حكم مصر من 24 يوليو 1854م حتى وفاته في 18 يناير 1863م، شهد عهده إنجاز العديد من المشروعات التي كان أهمها تأسيس البنك المصري، وإعطاء فرديناند دي لسبس الموافقة على حفر قناة السويس، كما قام بتخفيض الضرائب على الأراضي الزراعية، بالإضافة إلى إتمام خط سكة حديد القاهرة- الإسكندرية، كما اهتم بالملاحة، وقام ببعض الإصلاحات الإدارية، ولكن تراجع التعليم في عهده بشكل متعمد عندما قام بإغلاق المدارس العليا في البلاد، خاضت مصر في عهده حربين، حرب القرم التي انتصرت فيها الدولة العثمانية على الروس عام 1856م، وحرب المكسيك حينما أمد نابليون الثالث بقوة حربية مصرية لمعاونة الجيش الفرنسي. توفى محمد سعيد باشا في 18 يناير 1863م وخلفه على الحكم إسماعيل باشا، انظر الموسوعة الحرة/ 5 فبراير 2014م.
- (5) عبد المتعال حمزة حسن محمد صالح، مرجع سابق، ص22.
- (6) إبراهيم محمد حسن، مرجع سابق، ص9.
- (7) منال حسن مختار، صراع القوى الكبرى في البحر الأحمر -1945-1973م، رسالة دكتوراه، جامعة الزعيم الأزهرى، الخرطوم، 2007م، ص38.
- (8) الخليج العربي هو ذراع مائي لبحر العرب يمتد من خليج عمان جنوباً حتى شط العرب شمالاً بطول 965 كيلومتر، تبلغ مساحته نحو 233,100 كيلومتر، ويتراوح عرضه بين 370-55 كيلومتراً ولا يتجاوز عمقه 90 متراً إلا في بعض الأماكن، يفصل الخليج العربي شبه الجزيرة العربية عن غرب إيران التي تطلق عليه الخليج الفارسي، وتطل على الخليج العربي ثمان دول هي العراق والكويت

والسعودية وقطر والإمارات وعمان وإيران، كما تحيط مياه الخليج العربي بدولة البحرين، ويتميز الخليج العربي بأهمية اقتصادية كبرى، فضلاً عن أهميته السياسية والاستراتيجية. انظر:

The Encyclopedia American International edition, Volume 21, p751

(9) القرن الإفريقي هو ذلك الرأس النائي من اليابسة الناطح للبحر الأحمر على شكل قرن في منطقة تسمى «جورا دافوري» ومن ثم أطلق مسمى القرن الإفريقي على المنطقة الشمالية التي تشمل الصومال وجيبوتي وإرتريا، ويمثل مدخلاً لوسط وجنوب القارة الإفريقية من ناحية الشرق، ويمثل أهمية استراتيجية في كونه يطل على الجزء الصالح للملاحة في مضيق باب المندب وخليج عدن، كما أنه يمثل ملتقى للحضارتين العربية والإفريقية، أيضاً يشرف على أربعة منافذ بحرية وهي البحر الأحمر، خليج عدن، المحيط الهندي وقناة موزمبيق ونظراً لهذه الأهمية أصبح القرن الإفريقي محط صراع بين القوى الكبرى.

(10) صلاح الدين حافظ، صراع القوى العظمى حول القرن الإفريقي، الكويت، 1982م، ص 75.

(11) عبد المتعال حمزة حسن محمد صالح، مرجع سابق، ص 25.

(12) إسماعيل ياغي، تاريخ العالم العربي الحديث، ط1، مكتبة العبيكات، الرياض، 1997م، ص 20-21.

(13) محمد عثمان أبو بكر يونس، الصومال وطناً وشعباً، طباعة ونشر دار النهضة العربية، القاهرة، 1998م، ص 203.

(14) عبد اللطيف بن محمد الحميد، البحر الأحمر والجزيرة العربية في الصراع العثماني البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى -1914-1918م، ط1، الرياض، 1994م، ص 15.

(15) لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة عفيف البستاني، ط8، دار الفارابي للنشر، بيروت، 1985م، ص 33.

(16) جلال يحيى، التنافس الدولي في شرق إفريقيا، دار المعارف، القاهرة، 1967، ص 12.

(17) فاروق عثمان أباطة، الحكم العثماني في اليمن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المكتبة العربية، القاهرة، 1986 ص 20-21.

(18) سليمان باشا الخادم سياسي وقائد عسكري عثماني، عين واليا مصر في الفترة من -1525-1538م، في عام 1539م أرسل إلى اليمن في حملة عثمانية لفتحها من أجل صدّ الخطر البرتغالي عن المنطقة واستطاع الخادم السيطرة على عدن وجعل منها قاعدة عسكرية، عين سليمان باشا صدراً أعظماً في الفترة من -1541-1544م، توفي عام 1547م، انظر: Andrew James, Military History of Modern Egypt From The Ottoman Conquest to Ramadan War, P 30

(19) تقع عدن على الساحل الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية، وهي عبارة عن شبه جزيرة صخرية تتصل بالبر ببرزخ رملي مستطيل الشكل يبلغ طوله 7 كيلومترات، وهي منطقة قاحلة وغير صالحة للزراعة، تحتوي عدن على عدة أقسام وقرى أهمها الشيخ عثمان وبئر جابر.

(20) ميناء جدة هو واحد من الموانئ المهمة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر، تضاعفت أهميته بعد افتتاح قناة السويس، عول عليه العثمانيون كثيراً في المحافظة على البحر الأحمر والمقدسات الإسلامية، وأصبح له دور كبير في التجارة الخارجية للسعودية.

- (21) إبراهيم محمد حسن، المرجع السابق، ص 38.
- (22) تقع سواكن بين خط عرض 19.5 شمالاً وخط طول 37.5 درجة شرقاً، وهي مدينة سودانية تقع في شمال شرق السودان على الساحل الغربي للبحر الأحمر. وتبعد عن الخرطوم العاصمة حوالي 642 كم غرباً. وعن مدينة بورتسودان بـ 54 كم، وهي تضم منطقة أثرية تاريخية، وكانت ميناء السودان الرئيس قبل إنشاء ميناء بورتسودان.
- مرت سواكن بحقب مختلفة من التقدم والتدهور وتعاقب عليها حكام كثر منذ فجر التاريخ مروراً بالعصور الإسلامية ثم العثمانيين، وأخيراً البريطانيين قبل استقلال السودان. كانت سواكن في الأصل جزيرة ثم توسعت إلى الساحل وما جاورها. وأصبحت مدينة تضم الجزيرة والساحل.
- وقد بنيت المدينة القديمة فوق جزيرة مرجانية وتحولت منازلها اليوم إلى مجرد إطلال.
- <http://or.wikipedia.org/wiki/suakin>
- (23) إسماعيل ياغي، تاريخ العالم العربي الحديث، المرجع السابق، ص 51 - 52.
- (24) عثمان فاروق أباطة، الحكم العثماني في اليمن، المرجع السابق، ص 33.
- (25) السلطان سليم الأول 1470 - 1520 م، هو تاسع سلاطين الدولة العثمانية وأول من حمل لقب أمير المؤمنين من آل عثمان، حكم الدولة العثمانية من 1512 - 1520 م، وفي عهده تحولت الفتوحات من الغرب الأوروبي إلى الشرق العربي حيث بلغت الدولة العثمانية أقصى اتساعها، توفي سليم الأول في عام 1520 م، انظر: مصطفى طلاس، الثورة العربية الكبرى، ص 88.
- (26) إسماعيل ياغي، تاريخ العالم العربي الحديث، المرجع السابق، ص 43.
- (27) ولد محمد علي باشا في مدينة قونية بمقدونيا شمال اليونان عام 1769 م لأسرة البانية، وهو مؤسس مصر الحديثة وحاكمها ما بين عامي 1805 - 1848 م، استطاع أن يعتلي عرش مصر عام 1805 م بعد أن بايعه أعيان البلاد، ومكنه ذكاؤه واستغلاله للظروف المحيطة من أن يستمر في حكم مصر لفترة طويلة. خاض محمد علي في بداية فترة حكمه حرباً داخلية ضد المماليك والبريطانيين إلى أن خضعت له مصر تماماً، ثم خاض حروباً بالوكالة عن الدولة العثمانية في الجزيرة العربية ضد الوهابيين، وضد الثوار اليونانيين في المورة، كما وسع دولته جنوباً بضمه للسودان، قبل أن يتحول لمهاجمة الدولة العثمانية عندما حارب جيوشها في الشام والأناضول، وكان على وشك إسقاطها لولا تدخل الدول الغربية التي أرغمته على التنازل عن معظم الأراضي التي ضمها إلى ملكه. خلال فترة حكم محمد علي استطاع أن ينهض بمصر عسكرياً، وتعليمياً، وصناعياً، وزراعياً، وتجارياً الأمر الذي جعل من مصر دولة ذات شأن في تلك الفترة. انظر: عبد الرحمن الرافعي، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم عصر محمد علي باشا، ج3، دار الفكر الحديث، لبنان، ص 229-228، انظر: مصطفى طلاس، الثورة العربية الكبرى، ص 46.
- (28) ينتمي الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى أسرة تدعى آل مشرف وهي فرع من آل وهبة أحد بطون قبيلة تميم المشهورة، واشتهرت أسرته بالعلم الديني وكان والده الشيخ عبد الوهاب من العلماء وكان قاضياً للعيينة، حفظ الشيخ محمد القرآن = في مطلع عمره، وقرأ على أبيه كثيراً من الكتب في العلوم الإسلامية، ثم أخذ يطوف في البلاد ليلتقي بالعلماء وليأخذ عنهم، فذهب إلى مكة حاجاً

وطالباً للعلم، كما سار إلى المدينة حيث جلس في حلقة الشيخ عبد الله بن إبراهيم ، كما أخذ العلم عن العلامة محمد المدني ، ثم ذهب إلى البصرة وقرأ على الشيخ محمد المجموعي وامتدت رحلاته العلمية فشملت بغداد وكردستان وهمزان وأصفهان حيث درس فلسفة الإشراق والتصوف ثم رحل إلى قم حيث التقى بعلمائها وعندما كان الشيخ في البصرة أحس أنه أصبح على درجة من العلم يستطيع بها أن يتكلم وأن يعطي بعد أن أخذ كثيراً ، فبدأ يجهز ناقداً الضلال الذي يراه هنا وهناك ، غادر الشيخ البصرة حيث استكمل جولاته ، ثم هبط إلى نجد ونزل في الإحساء على الشيخ عبد الله بن محمد الشافعي، ثم رحل إلى بلدة حريملة حيث بدأ يتدارس مع أبيه علوم الدين ويجهز بضرورة تغير الحال المنحرف في تلك البقاع ، وتوفي والده سنة 1153هـ (1740م) فأصبحت التبعية الفكرية ملقاة على الشيخ محمد، من حريملة اتجه إلى العيينة ومنها إلى الدرعية حيث استقبله رئيسها محمد بن سعود وبدأ تحالف بين آل سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي واصل دعوته إصلاحية حتى وفاته في القعدة 1206هـ (1792م)

(29) رأفت غنيمي الشيخ، مصر والسودان في العلاقات الدولية، مكتبة الدراسات التاريخية والعلاقات الدولية، د ت، ص 9.

(30) ميناء القصير :ميناء بحري في محافظة البحر الأحمر بمصر وهو واحد من أكبر موانئ البحر

الأحمر، ويعتبر من الموانئ التاريخية القديمة منذ أيام الفراعنة، ويتمتع بأهمية استراتيجية وحربية.

(31) السبب الرئيس في إبرام هذه المعاهدة هو رغبة البريطانيين في إخراج الفرنسيين من مصر، وتعطيل مشروعات فرنسا في الشرق، وضمنت بريطانيا للدولة العثمانية إرجاع مصر للدولة العثمانية بعد هزيمة وطرد الفرنسيين.

(32) إسماعيل ياغي، تاريخ العالم العربي الحديث، المرجع السابق 237.

(33) جلال يحيى، مصر الإفريقية والأطماع الاستعمارية في القرن التاسع عشر، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، 1984م، ص 77.

(34) سعيد بن سلطان بن أحمد بن سعيد 1791-1856م: ولد في محافظة سمائل حوالي 1791م، تولى مقاليد الحكم عام 1806م، واتسع النفوذ العماني في عهده من بني عباس علي ضفاف الخليج العربي إلى ميناء زنجبار على الساحل الشرقي لأفريقيا، كما ازدهرت الحياة الاقتصادية وتعايشت الأجناس تعايشاً حسناً، اعتمد السلطان سعيد على تنمية حرية التجارة مع مختلف الشعوب دون تمييز وبني أسطولاً تجارياً ضخماً تسانده قوة بحرية فتيه توطيداً للعلاقات التجارية مع كل من الصين، وشرق آسيا، والهند، وسيلان، وإيران، وغيرها من الدول، كما أنه أبرم اتفاقية مع الولايات المتحدة الأمريكية في عام 1833م، كما عقد اتفاقيات مع 22 دولة، وكان يعامل الدول بمبدأ المعاملة بالمثل ونأى بنفسه عن التورط في المشاكل الدولية ، أيضاً كانت له علاقات متينة مع شركة الهند الشرقية البريطانية، وعلى كل يعتبر الباحثين فترة حكمه الفترة الذهبية لعمان. توفي سنة 1856م على متن سفينة فيكتوريا أثناء رحلته من عمان إلى زنجبار ودفن في زنجبار. انظر: س . ب مايلز، الخليج بلدانه وقبائله، ترجمة محمد أمين عبد الله، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1983م، ص 353-352.

(35) تشمل المشيخات: سلطنة لحج، سلطنة الحوشبي، سلطنة يافع، سلطنة العوزلي، مشيخة الصبيحة، سلطنة الفضلي، مشيخة العقربي، ومشيخة العولقي.

- (36) آمال إبراهيم محمد، الصراع الدولي حول البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ط1، لبنان، بيروت، 1993م ص94.
- (37) فاروق عثمان أباطة، الحكم العثماني في اليمن، المرجع السابق، ص 87.
- (38) علي الصراف، اليمن الجنوبي الحياة السياسية من الاستعمار إلى الوحدة، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، 1992م، ص33.
- (39) السلطان سليم الثالث: 1761-1808م، هو أحد خلفاء الدولة العثمانية تولى الحكم في 1789م في وقت كانت تعاني فيه الدولة العثمانية من العديد من المشكلات الداخلية والحروب الخارجية مع النمسا وروسيا، وفي عهده كذلك احتل الفرنسيين مصر عام 1799م، لكن بعد هدوء الحروب انصرف إلى الإصلاحات الداخلية على كافة الأصعدة واهتم بالتعليم ونشر العلم والحداثة، لكنه تعرض إلى تسلط رجال الدين والإنكشارية وانتهى الأمر بعزلة وخلفه علي السلطنة مصطفى الرابع، انظر: سليم الثالث- Marefa.org/index
- (40) الحركة الوهابية: ظهرت هذه الدعوة بالجزيرة العربية في الربع الأخير من القرن الثامن عشر الميلادي في مجتمع بسيط غير معقد علي يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي أدرك ما كان عليه قومه من الضلال وتفشي البدع وما كانت عليه بلاده من حالات الفوضى والانحلال، لذلك عقد العزم على انتهاج منهج السلف الصالح بالدعوة إلى تطهير الإسلام وإنقاذ المسلمين من الضلال لذلك دعا إلى الرجوع إلى تعاليم الدين الإسلامي الحنيف والعودة إلى نصوص كتاب الله المجيد وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم والسير على طريقة السلف الصالح وتوحيد كلمة المسلمين على صعيد واحد، والابتعاد عن تأويلات المتلبسين بلباس أهل الدين وظل يدعو رغم الصعوبات والتحديات التي واجهته حتى وفاته في عام 1792م.
- (41) رأفت غنيمي الشيخ، المرجع السابق، ص 33.
- (42) إبراهيم محمد حسن، المرجع السابق، ص 40.
- (43) عبد العزيز الشناوي وجلال يحيى، وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر، المكتبة التاريخية، دار المعارف، 1969م، وثيقة رقم 9، مجموعة 3.
- (44) رأفت غنيمي الشيخ، المرجع السابق، ص 20.
- (45) تبلغ مساحة جزيرة بريم 7 كم2، سبق للبريطانيين أن احتلوا جزيرة بريم عام 1799م أثناء الحملة الفرنسية على مصر كخطوة لحصار فرنسا في مصر ومنعها من التقدم إلى الهند لكنهم انسحبوا منها إلى عدن بسبب رداءة مناخها الذي لا يتلاءم مع البريطانيين، كما أن مياهها ضحلة وتنطوي الملاحه فيها على خطورة كبيرة جداً، لاحقاً بني فيها البريطانيين فناً يبلغ ارتفاعه 90 قدماً، وبعد افتتاح قناة السويس بدأت السفن تمر بكثرة في مضيقها ليلاً ونهاراً دون خوف من الشعب المرجانية.
- (46) علي الصراف، مرجع سابق، ص 27.
- (47) Document No. 1, Treaty Great Britain and Shoa , Efat and the Galla, 16th November, text in Sir Edward Hartslet vo1,op cit, p2.
- (48) جلال يحيى، مصر الإفريقية والأطماع الاستعمارية، مرجع سابق، ص 79.

- (49) إسماعيل ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الحديث، ط1، مكتبة العبيكات، الرياض، 1996م، ص 132.
- (50) هينز: ضابط بالبحرية البريطانية ويمثل العقل المدبر في احتلال عدن؛ حيث أرسلته حكومته إلى عدن عام 1835م لمعرفة مدى صلاحية عدن كقاعدة بحرية بريطانية، وكتب تقرير دعا حكومته من خلاله إلى ضرورة احتلال عدن. أصبح هينز أول مقيم سياسي بريطاني في عدن وطبق سياسة «فرّق تسد» من أجل السيطرة على عدن، أيضاً استخدم اليهود في المنطقة عيوناً له على العرب، كذلك قام هينز بعقد كثير من المعاهدات مع شيوخ وزعماء المنطقة، وفي نفس الوقت قضى على المقاومة المحلية التي ناهضت الاحتلال البريطاني، ويعود إلى هينز الفضل في توطيد دعائم الاحتلال البريطاني لعدن، انظر:
- www.adenal mnarh.com
- (51) علي الصراف، مرجع سابق، ص 27، أيضاً انظر جلال يحيى، مرجع سابق، ص 88.
- (52) فاروق عثمان أباطة، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر 1839-1918م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987م، ص 340.
- (53) آمال إبراهيم محمد، مرجع سابق، ص 136.
- (54) جلال يحيى، مصر الإفريقية والأطماع الاستعمارية، مرجع سابق، ص 95.
- (55) نفس المرجع، ص 109.
- (56) عصب: مدينة إرترية على الساحل الغربي للبحر الأحمر بالقرب من باب المندب، وتتميز بموقع استراتيجي مهم، كانت جزء من سلطنة أوسا العفرية، وعندما بدأ يتعاظم النفوذ الإيطالي في منطقة القرن الإفريقي والبحر الأحمر، أصبحت عصب مستعمرة إيطالية، و لاحقاً أصبحت الميناء الرئيسي لإثيوبيا إبان احتلالها لإرتريا.
- (57) سابيتو (1811-1895م) أب كاثوليكي ومستشرق إيطالي، انتسب إلى جماعة سان لازار، وزار مناطق البحر الأحمر وإقليم البوغوص، وعاش لدى قبائل الحباب وعرف البلاد جيداً، كما عرف ما يمكن لبلاده أن تستفيد منه، ويعتبر من الإيطاليين الذين ساهموا بقدر كبير في أن تجد إيطاليا لها مستعمرات في شرق أفريقيا.
- (58) محمد عثمان أبوبكر، مرجع سابق، ص 225.
- (59) جلال يحيى، مصر الأفريقية والأطماع الاستعمارية، مرجع سابق، ص 116.
- (60) محمد عثمان أبوبكر، مرجع سابق، ص 227.
- (61) فاروق عثمان أباطة، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، مرجع سابق، ص 459.
- (62) نفس المرجع، ص 462.
- (63) آمال إبراهيم محمد، مرجع سابق، ص 157.
- (64) فاروق عثمان أباطة، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، مرجع سابق، ص 512.
- (65) السيد حسين جلال، قناة السويس والاستعمار الأوربي 1883 - 1904م، القاهرة، 1995م، ص 355.
- (66) آمال إبراهيم محمد، مرجع سابق، ص 169.

- (67) نفس المرجع، ص171.
- (68) محمد عبد المنعم يونس، الصومال وطناً وشعباً، القاهرة، 1998م ، المرجع السابق، ص50.
- (69) فاروق عثمان أباطة، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، المرجع السابق، ص518.
- (70) Document No. 5, Treaty Between The Italian Government and the Sultan of Assab Mohamed hanfari Chief of the Danakils, Signed at Kadeli Gubo, 15th march 1883. text in Edward Hertslet, Vol 1, p 5.
- (71) Document NO.6, Treaty Between Show and Italy in 21the may 1883, text in Edward Hertslet Vol 1. P 6- 7.
- (72) Document No.17 , General act of the Conference of Berlin ,26th feb1885 ,text in Edward Hertslet ,Vol 1,pp20_23.
- (73) آمال إبراهيم محمد، مرجع سابق، ص181.
- (74) محمد عبد المنعم يونس، مرجع سابق، ص 50، أيضاً انظر: Edward Hertselt, Vol 1, Op Cit, p8.
- (75) فاروق عثمان أباطة، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، مرجع سابق، ص520.
- (76) نفس المرجع، ص 523.
- (77) Document NO. 8,Convention between the Sultan of Aussa “ Danakils” and Italy, 7th July 1887, Text in Edward Hertslet, Vol 1, p8.
- (78) Document No.9,Convention Between the sultan of Danakils and Italy ,10th August 1887, Text in Edward Hertslet,Vol1,p9.
- (79) Edward Hertslet, Vol 11, Op Cit , p12. (79)
- (80) I bid, p13. (80)
- (81) Edward Hertslet, vol 11, Op Cit, p669.
- (82) بيرنق أفلين - لورد كرومر الأول (-1841 1917م) تخرج عام 1855م من مدرسة ووليك الحربية وشغل أول منصب له جزر (أيونيا) بدأ عمله الدبلوماسي في (كورفو) وفي عام 1872 رافق (نورث بروك) إلى الهند كسكرتير خاص له ، وفي عام 1877م عين ممثلاً لبريطانيا في (Cossec de Delta)، وبعد الاحتلال البريطاني لمصر أوكلت له مهمة الإصلاح الداخلي في سبتمبر 1883م، وأصبح منذ ذلك الحين المسؤول الفعلي عن السياسة المصرية فقام بدور رئيسي في معالجة مشكلة السودان بعد هزيمة هكس في نوفمبر 1883م شغل منصب مندوب بريطانيا في مصر حتى عام 1908م .
- (83) محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث 1820-1955م. شركة الأمل للطباعة والنشر، الخرطوم بدون تاريخ، ص 215 .
- (84) Abbas Abraham .M. The Britsh Debate on the Containment of the Sudanese Mahdist Revolution Nov 83. Feb 1885. P 20.
- (85) لبيب رزق، السودان في عهد الحكم الثنائي الأول 1899- 1924 رسالة دكتوراه ، جامعه عين شمس 1967م ، ص26.

- (86) ولسون جارلس (1838 - 1905 م) ضابط بريطاني، التحق بسلاح المهندسين في عام 1855، شارك مع القوات البريطانية التي احتلت مصر عام 1882م، عمل رئيس لقسم المخابرات في الحملة التي حاولت إنقاذ غوردون 1884-1885م ، في عام 1885 ألف كتاباً سرد فيه قصة طابور الصحراء.
- (87) جلال يحيى، التنافس الدولي في شرق إفريقيا، المرجع السابق ، ص 52 .
- (88) نفس المرجع ، ص 314.
- (89) جرانييل إلي بيرنق، نمرة 247 ، 13/10/1884م P . R . O , F O 78 /3551 ,
- (90) In (Mekki Shibeika , British Policy In The Sudan)
- (91) جلال يحيى، التنافس الدولي في شرق إفريقيا، المرجع السابق ، ص 183 .
- (92) Abbas Ibrahim, OP Cit. P 33⁽¹⁾
- (93) عثمان أبو بكر دقنة (1840 - 1926م) أمير أمراء المهديية ينحدر من أصل كردي ، أرسل جده من قبل السلطان سليم في 1518م لاحتلال سواكن حيث تزوج من قبيلة البشاريين وهي إحدى قبائل البجا، ولد عثمان دقنة في روين Rouen . كانت أسرته تعمل بالتجارة عبر البحر الأحمر إلى الجزيرة العربية. في 1877م تعطلت أعمالها التجارية بسبب الرقابة التي كان يفرضها الأسطول البريطاني، تأثر عثمان دقنة بأحمد عرابي وحاول أن يخلق اضطراباً في سواكن الأمر الذي أدى إلى إبعاده، سافر إلى بربر فعمل وسيط تجاري، بعد قيام الثورة المهديية انضم إلى المهدي وبايعه بالأبيض في مطلع عام 1883م . عينه المهدي أميراً كلفه بإشعال الثورة في شرق السودان، وعند عودته إلى الشرق حاصر حامية سواكن في عام 1883م، أحرز انتصار على كتيبة من الجنود البريطانيين والمصريين في معركة التيب، وضرب الحصار على طوكر، في مطلع 1884م ألحقت قواته هزيمة ساحقة بفالنتاين بيكر في معركة التيب الثانية، لكنه هزم على يد القوات البريطانية بقيادة جراهام في تاماي، في 1885م حارب القوات البريطانية في معركتي الهشيم وتوفرك. استدعاه الخليفة عبد الله إلى أم درمان، في عام 1891م استعاد هولت سميث طوكر وتراجع عثمان دقنة إلى أدارما على نهر عطبرة، شارك في معركتي عطبرة وأم درمان. بعد هزيمة الأنصار في كرري انسحب عثمان دقنة إلى تلال البحر الأحمر، في 1900م اعتقلته القوات البريطانية وتنقل بين عدة سجون كان آخرها سجن وادي حلفا في 1908م، في 1924م سمح له بأداء فريضة الحج، توفي بسجن وادي حلفا 1926م بعد عمر طويل حافل بالأعمال البطولية.
- (94) عبد المحمود أبو شامة، من أبا إلي تسلهاي «حروب حياة الأمام المهدي»، ط 1 . الخرطوم، 1986م، ص 230.
- (95) نفس المرجع ، ص 429.
- (96) عبد الرحمن الرافعي، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم عصر محمد علي باشا، ج3، لبنان، بدون تاريخ، ص 149.
- (97) جيرالد جراهام ولد في عام 1831م حيث كان والده يعمل في كمبرلاند، زامل غوردون في كلية الحربية وهو صديقاً له ورافقه في رحلته الأخيرة حتى كورسو، وهو يتبع اللواء المهندسين الملكيين البريطاني، حارب في الصين ونال في حرب القرم وسام صليب فيكتوريا، وقد وصفه ولسلي بأنه يملك

- قلب. أسد عمل في القوات البريطانية في القاهرة قبل أن يرسل إلى السودان في عام 1884م .
- (98) مكي شببكة، السودان عبر القرون ، ط 2، نشر وتوزيع دار الثقافة ،بيروت - لبنان 1965م، ص 308.
- (99) محمد على بركات، السياسة البريطانية واسترداد السودان 1889-1899م مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1977 ، ص 20.
- (100) نفس المرجع، ص 147 .
- (101) محمد سعيد القدال، المرجع السابق، ص 216.
- (102) British Policy In Sudan , Op Cit , 273.
- (103) ولسلي إلى وزارة الحربية ، نمرة 44 ، 4/2/1884م P 224 . Part 11 . P R. O 33/43 .
- (104) (In Mekki Shibeika , British Policy In The Sudan)
- وزارة الحربية البريطانية إلى ولسلي ، نمرة 122 ، 6/2/1885م P227 . Part 2 . P R O WO 33143 .
- (In Mekki Shibeika , British Policy In The Sudan)
- (105) وزارة الحربية إلى ولسلي ، نمرة 17 ، 7/2/1885م ، P227 ، Part 2, P.R.O, WO, 33 /43, (In Mekki Shibeika , British Policy In The Sudan)
- (106) بينما كانت حكومة جلادستون تتشاور في أمر هزيمة المهدي، ظهرت في أفق العلاقات بين روسيا وبريطانيا أزمة حادة تهددت بسببها حدود الإمبراطورية البريطانية في الهند وذلك عندما وقع الاصطدام بين الروس والأفغان، وكان سببه أن الروس احتلوا مرو (Mer) بدعوى إنها داخلية في دائرة نفوذهم وفي انتظار حضور لجنة لتخطيط الحدود بين الروس والأفغان حسب اقتراح الحكومة البريطانية، أحلت الروس المراكز الاستراتيجية المهمة ووقع اصطدام بينهم وبين الأفغان في بنجده (Penjdeko) في مارس 1885م وطالب الرأي العام البريطاني بالحرب مع الروس، إلا أنه في آخر الأمر تم تسوية المسألة بواسطة لجنة أفغانية لحدود (1885 - 1886م)، وتم توقيع اتفاق نهائي في سان بطرسبرج بعد ذلك في عام 1887م، إلا أن الموقف كان وقت الأزمة في غاية الحرج، وخشيت الحكومة البريطانية في إبريل 1885م أن ينتهز الروس فرصة مشغولية الإنجليز بالحرب في السودان فيقتحموا حدود الهند الشمالية الغربية من ممر خيبر.
- وكانت هذه المسألة العامل الحاسم في تقرير الحكومة البريطانية وقف العمليات العسكرية في السودان .
- (107) جرانفيل إلي بيرنق ، (سري)، نمرة 77، 13/3/1885م P R O FO 78/3612 .
- (In Mekki Shibeika , British Policy In The Sudan)
- (108) محمد عمر بشير، الحركة الوطنية في السودان 1900-1969م، ترجمة هنري رياض وآخرون، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، 1980م، ص 27.
- (109) عبد اللطيف محمد الحميد، المرجع السابق، ص 62.
- (110) Sudan Intel reports, No. 223, Feb 1913, NRO. PS.2/24/154/5
- (111) NRO. PS Sudan Intel Report , No. 260 March 1916, NRO. PS 2/24/154/7
- أيضاً أنظر: عبد اللطيف بن محمد الحميد، المرجع السابق، ص 64.

- (112) Liddle Hart, History of the World War 1914- 1918, Printed in Great Britain by latimer Trend and Company Plymouth, London, nd, P 181.
فاروق عثمان أباطة، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، المرجع السابق، ص 530.
- (113) عبد اللطيف بن محمد الحميد، المرجع السابق، ص 66.
- (114) Sudan Intel Report, No. 248, March 1915, NRO. PS 2/24/154/8
- (115) عبد اللطيف بن محمد الحميد، المرجع السابق، ص 68.
- (116) فاروق عثمان أباطة، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، المرجع السابق، ص 55.
- (117) مثلت الجزيرة العربية وحدة جغرافية واقتصادية واحدة و تستند على النظام القبلي كأساس للحياة الاجتماعية وبذلك يختلف مجتمعها عن المجتمعات العربية الأخرى في كل من العراق والشام ومصر، حتى أن تشكيلاتها السياسية تقوم إما على المشيخة أو الإمارة التي تقوم على الفكر الديني المذهبي في جذب المريدين.
- (118) السيد حسين جلال، المرجع السابق، ص 246.
- (119) مكي شبكية، العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى، دار الثقافة، بيروت، 1970م، ص-ص 7-9.
- (120) Sudan Intel Report, No 235, Feb. 1914, NRO , P S 2/24/154/5-6 Sudan Intel Report, No 235, Feb. 1914, NRO , P S
- (121) P S 2/24/154/7. Ibid, No 241, Aug. 1914, NRO²⁾
- (122) فاروق عثمان أباطة، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، المرجع السابق، ص 543.
- (123) Sudan Intel Report, No 214, May. 1912, NRO ,P S 2/24/154/7.
- (124) 265, Aug. 1916, Sudan Intel Report, No. NRO, P S 2/24/154/7
- (125) مكي شبكية، العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى، المصدر السابق، ص-ص 12-15.
- (126) حزام: تمتد أراضي حزام من الساحل إلى مرتفعات جنوب الحديدة.
- (127) الإمام يحيى محمد حميد الدين المتوكل 1869-1948م: هو إمام اليمن من 1904 حتى 1948م وهو مؤسس المملكة اليمنية المتوكلية، اعترف به الأتراك إماماً مستقلاً على شمال اليمن في 1911م بعد حروب طويلة ضد العثمانيين، ورث الإمام يحيى الأتراك في اليمن بعد هزيمتهم في الحرب العالمية الأولى، أقام مملكة إقطاعية تفتقد لأبسط البنى التحتية الضرورية، كما عزل اليمن عن العالم الخارجي لفترة طويلة من الزمن، تعرض حكم الإمام يحيى لعدة تحديات أبرزها ثورة الدستور والتي قتل على إثرها في 17 فبراير 1948م عن عمر ناهز الـ 80 عاماً، وخلفه ابنه أحمد بن يحيى. انظر: حميد الدين القاضي عبد الكريم، سيرة الإمام يحيى.
- (128) عبد اللطيف بن محمد عبد الحميد، مرجع سابق، ص 25.
- (129) نفس المرجع، ص 40، أيضاً انظر إبراهيم محمد حسن، مرجع سابق، ص 66.
- (130) أحمد عزت باشا 1864-1937م: قائد عسكري عثماني، كان من أواخر من حمل الصدارة العظمى للدولة العثمانية، تولى قيادة الجيش الثالث في بداية الحرب العالمية الأولى، كما قاد الجيش الثاني في معارك القوقاز عام 1916م، إلى جانب ما تميز به من مهارة عسكرية، تميز كذلك بالحكمة

- السياسية والإدارية الأمر الذي خوله لمعالجة العديد من القضايا السياسية المهمة لإقرار السلام في الأماكن التي خدم فيها. انظر: الموسوعة الحرة/ 1 مارس 2015م.
- (131) دعان: قرية صغيرة تقع على قمة جبل في الشمال الغربي من عمران.
- (132) فاروق عثمان أباطة، الحكم العثماني في اليمن، المرجع السابق، ص 285.
- (133) Winston. S. Churchill, The World Crisis 1911-1918, Vol II, Printed in Great Britain By John Gardner, Liverpool, nd, P 435. ⁽¹³⁴⁾
- (134) NRO, P S 2\24\154, Sudan Intel No. 210, Jan 1912, p14 ⁽¹³⁵⁾
- (135) للوقوف على مختلف الآراء على المستويين الداخلي والخارجي حول الاتفاق: انظر فاروق عثمان أباطة، الحكم العثماني في اليمن، المرجع السابق، ص 293-299.
- (136) عبد اللطيف بن محمد عبد الحميد، مرجع سابق، ص 41.
- (137) Gravin. R. J. Aden Under British Rule 1839-1967, First Published, C.H, Hurst and Coated, London, 1975, P P 223-226.
- (138) فاروق عثمان أباطة، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، المرجع السابق، ص 55.
- (139) كانت عسير متصرفة تركية تابعة لولاية اليمن، وكان أشرف مكة يدعون ملكية بعض المناطق المتاخمة للحجاز، وكان أمراء نجد كذلك يدعون ملكية بعض الجهات في المنطقة الشرقية. وانتهى أمر عسير إلى ضمها إلى السعودية في عهد عبد العزيز بن سعود.
- (140) ينتمي الأدارسة إلى أحمد بن إدريس المغربي المولود في القيروان، أسس محمد بن علي محمد أحمد الإدريسي أمارة الأدارسة في صديا بعسير. ولد الإدريسي ونشأ في صديا في عام 1909م، وفشلت الدولة العثمانية في التوصل معه إلى صلح، تحالف مع الإيطاليين ضد الدولة العثمانية، وعندما قامت الحرب العالمية الأولى حارب إلى جانب بريطانيا التي سلمته الحديدة بعد نهاية الحرب، ولكن بعد وفاته اهتزت مكانة الأدارسة ومن تبقى منهم سلمهم الإمام يحيى إلى الملك عبد العزيز بن سعود طبقاً لبند الصلح الذي عقد بين الإمام يحيى والملك عبد العزيز بن سعود، انظر: الموسوعة الحرة- الأدارسة.
- (141) عبد اللطيف بن محمد الحميد، مرجع سابق، ص 26.
- (142) NRO, P S2/24/154, Sudan Intel Report, No. 212, 11 April 1912, p8. ⁽¹⁴³⁾
- (143) 2/24/154, Sudan Intel Report, No. 212, 11 April 1912, p8. NRO, PS ⁽¹⁴⁴⁾
- (144) NRO, PS 2/24/154, Sudan Intel Report, No. 202, March 1912, p8¹
- (145) NRO, PS 2/24/154, Sudan Intel Report, No. 214, May 1912, p7.
- (146) NRO, PS 2/24/154, Sudan Intel Report, No. 210, Jan 1912, p14. ⁽¹⁴⁷⁾
- (147) فاروق عثمان أباطة، عدن والسياسة البريطانية في عدن، المرجع السابق، ص 545.
- (148) Sudan Intel Report, No 256, Aug 1916, NRO, P S 2/24/154/7.
- أيضاً أنظر:
- Telegram From Clayton, to Mukhabarat Khartoum, dated in 10.11. 1914, NRO, Intel 1/1/11/39.
- (149) فاروق عثمان أباطة، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، المرجع السابق، ص 560.

- (150) Sudan Intel Report, No 245 , Dec. 1914, NRO, P S 2/24/154/7-8 .
- (151) Sudan Intel Report, No 245, Dec 1914, NRO, P S 2/24/154/8.
- (152) Letter From Assistant Director of Intelligence to Governor of Port Sudan, 17.11.1914, NRO, Intel 2/28/405/71. ⁽¹⁵³⁾
- (153) Sudan Intel Report, No 250, May 1915, NRO, PS 2/24/154/10
- (154) NRO, Intel 2/28/405/63.
- كذلك أنظر: مكي شبكية، العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى، المصدر السابق، ص 11-20.
- (155) فاروق عثمان أباطة، عدن والسياسة البريطانية، المرجع السابق، ص 564.
- (156) Sudan Intel Report, No 262, May 1916, NRO, PS 2/24/154/8-9.
- (157) Sudan Intel Report, No.248, March 1915, NRO, P S 2/24/154/8
- (158) Ibid, No 265, Aug 1916, PS 2/24/154/7. ⁽¹⁵⁹⁾
- (159) مكي شبكية، العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى، المصدر السابق، ص 18-19.
- (160) Telegram From Governor General, Khartoum to Governors of Provinces, 7 th Nov 1914, NRO, Intel 1/1/11/9.
- (161) مكي شبكية، العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى، المصدر السابق، ص 66-67.
- (162) Sudan Intel Report, No. 291, April 1916, NRO, P S 2/24/154/7.
- (163) جورج انطونيوس، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، د. ت، ص-ص 229-331.
- (164) Sudan Intel Report, No 245, Dec 1914, NRO, P S 2/24/154/8-9. ⁽¹⁶⁵⁾
- (165) Gratt will. C.R.M, A history of the Great War 1914-1918, Second Edition, Granda publishing limited, London, nd , P 204.
- (166) علي فؤاد: ضابط تركي ورئيس أركان حرب جمال باشا وقائد الفيلق الثامن الذي كان مكلفاً بغزو مصر في الحرب العالمية الأولى في عام 1915م، كان علي فؤاد من عظماء الضباط الأتراك وقد شهد له بالشجاعة والبراعة السياسي الأتلافي الشهير «فون بابن». شارك علي فؤاد في الحملة التركية علي اليمن، ثم عين ملحقاً عسكرياً في باريس قبل أن يصبح رئيساً لأركان حرب جمال باشا، وعندما أصّر جمال باشا علي إعدام أحرار العرب في محاكمات عالية بزل علي فؤاد قصارى جهده لاستعطاف جمال باشا من اجل تخفيف الأحكام ولكنه لم يفلح. وعندما قامت تركيا الحديثة عُين علي فؤاد سفيراً لتركيا في موسكو، أيضا كانت للمذكرات التي كتبها علي فؤاد مرجعاً مهماً لتاريخ سوريا والحرب العالمية الأولى. انظر: عبد اللطيف بن محمد الحميد، المرجع السابق، ص 114-117.
- (167) عبد اللطيف بن محمد الحميد، المرجع السابق، ص 114.
- (168) Sudan Intel Report, No.249 , April 1915, NRO, P S 2/24/154/8.
- (169) عبد اللطيف بن محمد بن محمد بن الحميد، مرجع سابق، ص 116.

- (170) Sudan Intel Report, No. 250 , NRO, P S 2/24/154/10-11.
- (171) Sudan Intel Report, No. 241, Aug. 1914, NRO, P S 2/24/154/7.
- (172) Sudan Intel Report, No 234, Jun. 1914, NRO, P S 2/24/154/9.
- (173) مكي شبكية، العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى، المصدر السابق، ص 39-46.
- (174) Sudan Intel Report, No 255, Oct 1915, NRO, P S2/24/154/6.
- (175) Sudan Intel Report, No. 245 , Des 1914, NRO, P S 2/24/154/8.
- (176) محمد فريد بك 1868-1919م أحد كبار زعماء الحركة الوطنية المصرية، ترأس الحزب الوطني بعد وفاة مصطفى كامل، انفق ثروته في سبيل القضية المصرية وأعلن أن مطالب مصر هي الجلاء والدستور، ورأي بأن أفضل وسيلة لتحقيق هذه الأهداف تعليم الشعب لذلك أنشأ فريد مدارس ليلية في الأحياء الشعبية لتعليم الفقراء مجاناً، أنشأ أول نقابة للعمال سنة 1909م. عرفت مصر علي يده المظاهرات الشعبية المنظمة، سافر فريد إلي أوروبا علي حسابه الخاص لدعوة كبار معارضي الاستعمار لتوصيل صوت القضية المصرية للمحافل الدولية. ورغم تعرضه للمحاكمات إلا انه واصل كفاحه ضد الاستعمار حتى وفاته عام 1919م، انظر: جلال يحي ومحمد نصر مهنا، مصر الحديثة، ص 63
- (177) litter From Assistant Director of Intelligence Khartoum to Governor of Red Sea Province, 14 th November 1914, NRO, Intel , 1 / 1 / 11 / 83.
- (178) مكي شبكية، العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى، المصدر السابق، ص- ص 119-121.
- (179) Declaration of the Sudan Governor, to the Ullama, Khartoum, 10 th November 1914, NRO, Intel1/1/11/71.
- (180) Extract from Sudan times of 24.9.1914, NRO Intel 2/28/405/63
- (181) سعى الألمان لسحق الدين الإسلامي في أفريقيه الشرقية، كتيب أصدره قلم المخابرات من هيئة أركان الحرب لقوات ملك جلالة بريطانيا العظمى في القطر المصري يوليو 1916. انظر: NRO, Intel 1/1/11
- (182) مكي شبكية، العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى، المصدر السابق، ص- ص 7-9.
- (183) عبد اللطيف بن محمد الحميد، المرجع السابق، ص 126.
- (184) نفس المرجع، ص 127.
- (185) Sudan Intel Report, No 260, march 1916, NRO , P S 2/24/154/7
- (186) , No 251, June 1915, NRO, P S 2/24/154/8. Sudan Intel Report
- (187) Sudan Intel Report, No210, Feb 1915, NRO, P S 2/24/154/11.
- (188) Sudan Intel Report, No261, April 1916, NRO , P S 2/24/154/7
- (189) Sudan Intel Report, No 285, June 1916, NRO, P S 2/24/154/6.
- (190) Proclamation of The War Signed by Reginald Wingate Governor General of the Sudan, Khartoum 7 th November 1914, NRO Intel 1 / 1 / 11 / 1, P P 1-7-8.

أيضا انظر:

Proclamation By The General Commanding In Chief His Britannic Majesties Force in Egypt, NRO, Intel2/48/406.

From The Secretary Sudan Defense Central Committed to the Governor Red Sea Province, Port Sudan 2nd, October 1914 , NRO. PS 2 2/14/91, PP 1-3 .

From Special Defense to the British Infantry Detachment At كذلك انظر: .Port Sudan, NRO, P S 2/14/91

From Secretary Sudan Central Bureau to Al Lewa Wilson Pa- أيضا انظر: -sha Officer Commanding Red Sea District, NRO, P S 1/14/1-2

(191) جون ماكسويل 1859-1929م: ولد في مدينة ليفربول ببريطانيا في 11 يونيو 1859م، درس الأكاديمية الملكية العسكرية، بعد تخرجه حارب في كل من السودان ضد الدولة المهدية، وفي جنوب إفريقيا ضد النوير سنة 1900م، كما انه حارب في الحرب العالمية الأولى حيث خدم في الجبهة الغربية قبل أن يتم اختياره قائداً لقوات الحلفاء في مصر ونجح في حماية القناة من الهجوم العثماني، ساهم ماكسويل في القضاء علي التمرد بايرلندا سنة 1922م. حصل ماكسويل علي عدد كبير من الأوسمة والنياشين كما انه بلغ أعلي المراتب العسكرية في بلاده. توفي ببريطانيا عن عمر ناهز ال 69 عاماً. انظر Harvie Christopher, A floating Common wealth, Politics : Culture and Technology On Britain's Atlantic Coast 1880- 1930, Oxford University Press, P 343

(192) عبد اللطيف ابن محمد الحميد، المرجع السابق، ص 132.

Letter From R.H Peirse Vice- Admiral Commander In – Chief President- Pre-serpine at Port Said,

(193) -4 th January 1914, N.R.O.S, Intel 2/48/406.

(194) -Letter From Governor of Red Sea Province to The Assistant Director of Intelligence, 4 th

(195) November 1914, Khartoum, NRO, Intel 1/1/11/93. (196)

-Proclamation, Signed by Reginald Wingate General Governor of the Sudan, Khartoum, 7

(196) th November 1914, NRO, Intel 1/1/11, P 1-2.

.Sudan Intel Report, No 247, Feb 1915, NRO, PS 2/24/154/7-8 أيضا انظر:

(197) فاروق عثمان أباطة، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، المرجع السابق، ص 584.

(198) Sudan Intel Report, No 251, Jun 1915, NRO, P S 2/24/154/8.

(199) جون بولدرى، العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن أبان الحكم التركي 1914-1919م، ترجمة سيد مصطفى سالم، صنعاء، 1981م، ص 34.

- (200) فاروق عثمان أباطة، الحكم العثماني في اليمن، المرجع السابق، ص 382.
- (201) تقع الشيخ سعيد غرب عدن بنحو سبعة كيلو متر، كما أنها تطل مباشرةً علي مضيق باب المندب الذي يتحكم في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر.
- (202) للوقوف على تفاصيل هجوم الأتراك على لحج أنظر فاروق عثمان أباطة، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، المرجع السابق، ص-ص 593-597.
- (203) إبراهيم محمد حسن، المرجع السابق، ص 170.
- (204) فاروق عثمان أباطة، الحكم العثماني في اليمن، المرجع السابق، ص-ص 406-408.
- Hurewitz. J. C , The Middle East and North Africa In World Politics, Vol 1 , 2 nd Editions,
- (205) London, 1975, P 14-15
- (206) لوتسكي، المرجع السابق، ص 446.
- (207) NRO, Intel 1/1/11/7.
- (208) عبد اللطيف بن محمد الحميد، المرجع السابق، ص 158.
- (209) Sudan Intel Report, No 245, Dec 1914, NRO, P S 2/24/154/8.
- (210) حامد عبد اللطيف نقد السيد، دور السودان في الحرب العالمية الأولى -1914 1918م، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، أم درمان، 1998م، ص 48.
- (211) عبد اللطيف بن محمد الحميد، المرجع السابق، ص 164.
- (212) NRO, Intel 1/1/11/8. ⁽²¹³⁾
- (213) Sudan Intel Report, No 245, Dec 1914, NRO , P S 2/24/154/8.
- (214) Winston. S. Churchill, The World Crisis 1911-1918, Op Cit, P 451.
- (215) عبد اللطيف بن محمد الحميد، المرجع السابق، ص 167.
- (216) إبراهيم محمد حسن، المرجع السابق، ص 160.
- (217) جمال باشا، مذكرات جمال باشا، تعريب علي أحمد شكري، مكتبة الهلال، القاهرة، 1923م، ص-ص 287-290.
- (218) أرشبالد موراي -1860 1945م: ولد بهام شير ببريطانيا في 23 ابريل 1860م، درس في الكلية العسكرية الملكية وتخرج ضابطاً في 13 أغسطس 1879م، وفي عام 1898م اشترك في حرب النوير قبل أن يلتحق بالمخابرات البريطانية في ناتال، تنقل بين عدد من وحدات الجيش البريطاني داخل وخارج بريطانيا، ونال عدد من الترقيات والنياشين، وعند إعلان الحرب العالمية الأولى حارب موراي في الجبهة الفرنسية حيث ظهرت مواهبه العسكرية القيادية إلى جانب قوة التحمل والجلد، وفي أول يناير 1916م عين موراي قائداً عاماً لقوات الحلفاء في مصر حيث شرع في وضع الدفاعات داخل سيناء بدلاً عن البقاء بالقناة الأمر الذي أدى إلى إخفاق الهجوم العثماني الثاني علي قناة السويس. في عام 1917م قاد موراي معركة غزة التي انتصر فيها علي القوات العثمانية ودخل المدينة، تقاعد عن الخدمة العسكرية في 15 نوفمبر 1922م بعد أن تحصل علي أعلى المراتب العسكرية والنياشين والأوسمة في بلاده. توفي موراي في 12 يناير 1945م. انظر: Sir A b c d e f g h i j k ,

- .Archibald Murray, Oxford Dictionary of National Biography, 2004
- (219) عبد اللطيف بن محمد الحميد، المرجع السابق، ص 191.
- (220) إبراهيم محمد حسن، المرجع السابق، ص 162.
- (221) جمال باشا، المصدر السابق، ص-ص 289-290.
- (222) Liddle Hart, Op Cit, P- P 279-280.
- (223) NRO, Intel 1/1/11/8.
- (224) حامد عبد اللطيف نقد الله، المرجع السابق، ص، 45.
- (225) عبد اللطيف بن محمد الحميد، المرجع السابق، ص 191.
- (226) فاروق عثمان أباطة، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، المرجع السابق، ص 646.
- (227) Liddle Hart, Op Cit, P 279. ⁽²²⁸⁾
- (228) Sudan Intel Report, No 266, Sep. 1916, NRO , P S 2/24/154/6.
- (229) Sudan Intel Report, No 263, June 1916, NRO, P S 2/24/154/11.
- الثورة العربية الكبرى تاريخ جامع للقضية العربية في ربع قرن، المجلد الأول، القاهرة، د. ت - ص-ص 254-259.
- (230) جورج انطونيوس، يقظة العرب، المصدر السابق، ص 324.
- (231) فاروق عثمان أباطة، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، المرجع السابق، ص 647.
- (232) جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص- ص 341-346.
- (233) فاروق عثمان أباطة، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، المرجع السابق، ص 651.